



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل ط1: 171735092692

رقم التسجيل ط2: 171735085146

الجهاد البحري للإخوة بربروس في أوائل القرن 16م وأثره في التحاق الجزائر بالدولة العثمانية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ - تخصص: تاريخ الجزائر الحديث 1830/1519

إعداد الطالبين:

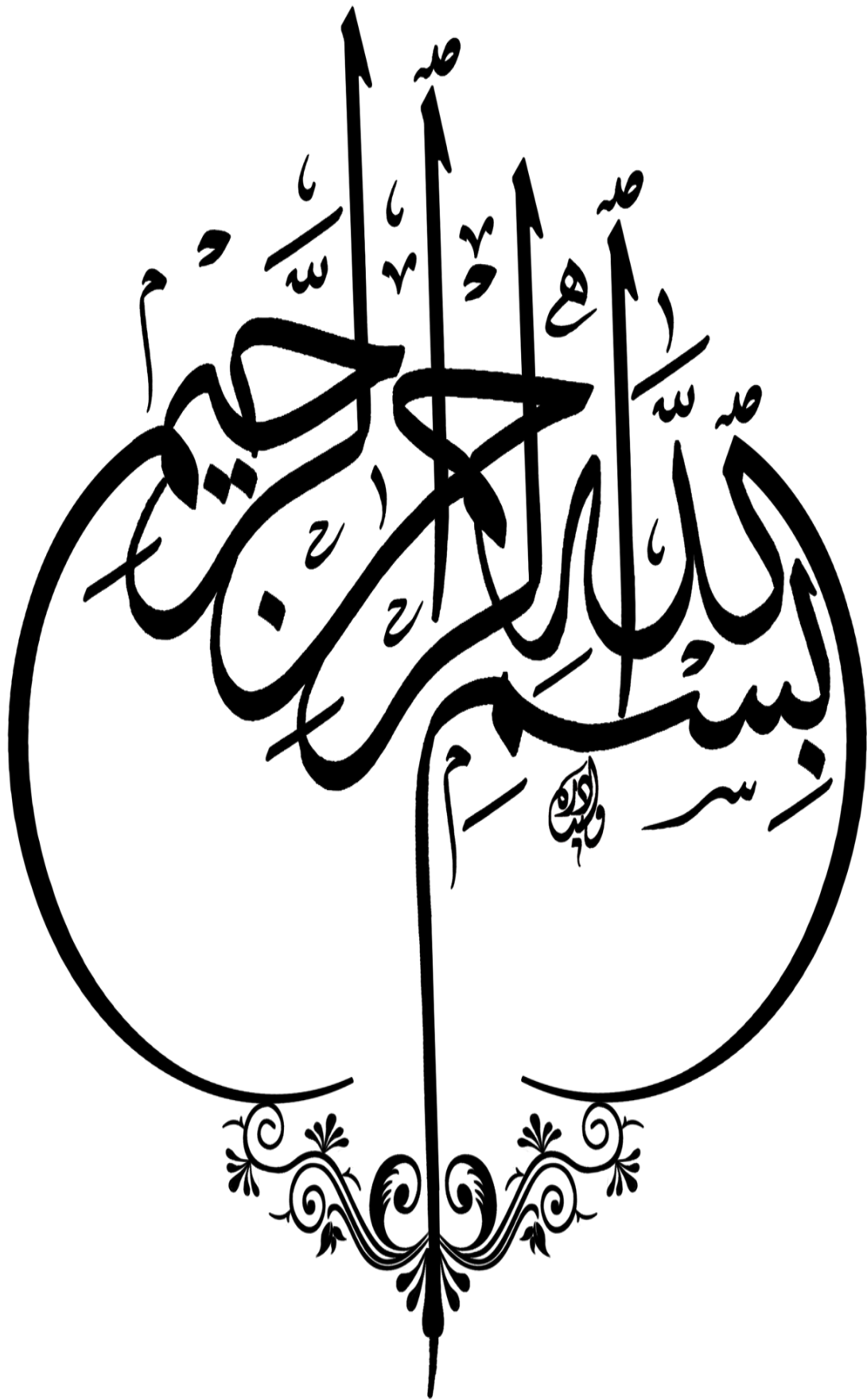
- مريم لهلاي

- شيماء عليلي

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	أ.د. مصطفى عبيد	أستاذ	جامعة محمد بوضياف المسيلة	رئيسا
2	أ.د. أبوبكر الصديق حميدي	أستاذ	جامعة محمد بوضياف المسيلة	مشرفا ومقررا
3	د. إبراهيم الخليل والي	أستاذ محاضر أ	جامعة محمد بوضياف المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2021-2022 م / 1442-1443 هـ





Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and
Student Issues

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: 2022/

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضى ادناه :

السيد(ة): علياء بن شيما
الصفة(طالب، استاذ باحث، باحث دائم): طالب
الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 201143243
الصادرة بتاريخ: 27-02-2017 عن دائرة: أولاد دراج
المسجل بكلية: العلوم الإنسانية قسم: التاريخ
تخصص: تاريخ الجزائر الحديث تحت رقم التسجيل: 171735092692
والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، اطروحة دكتوراه).
عنوانها: الجهاد المجري للأخوة بربوروس أوائل القرن
16 و أثره بالحقائق الجزائرية دولة الاحتمال

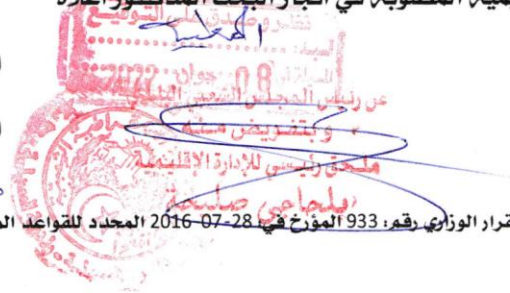
اصح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة

الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 08 جوان 2022

امضاء المعني(ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.





Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and
Student Issues

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: 2021/

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضى ادناه :

السيد(ة): لمولاي مريم

الصفة(طالب، استاذ باحث، باحث داهم): طالب

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: ٤٥٠٩٦٧٩١٨

الصادرة بتاريخ: ٤٥١٦١٥١٤٤ عن دائرة: مديرية الهاميل

المسجل بكلية: العلوم الإنسانية قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ حديث تحت رقم التسجيل: 17.17.3.5.085146

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، اطروحة دكتوراه).

عنوانها: الجهاد البحري للاخوة بربرو سنج أوائل القرن 16 م

وأثره في المناطق الجزائرية وولاية العثمانية

اصح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة

الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 07 جوان 2022

امضاء المعني(ة):



المرجع: القرار الوزاري رقم 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع:

الجهاد الجري للحرية ببروس أوائل القرن
الـ ١٩ وأثره بالخطاب الحضاري بالدولة العثمانية

إعداد الطلبة:

1- علي بن سنياء رقم التسجيل: 19173509.2698

2- لعلالي مريج رقم التسجيل:

القسم: التاريخ الشعبة: العلوم الإنسانية التخصص: تاريخ الحضارة الحديثة
إشراف: د. أبو بكر المديني أحمدي الرتبة:

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2021-2022 وأسمح
بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة والتقييم.

رئيس فريق الاختصاص

موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة):

أ. د. صالح طيب
رئيس فريق الاختصاص

رئيس القسم

رئيس القسم

لتحميل الوثيقة يرجى نسخ الرمز



شكر وعرهان

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم و المعرفة و أعاننا على أداء هذا الواجب
و وفقنا الى انجاز هذا العمل لا بد لنا و نحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية
من وقفة نعود بها إلى اعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام
الذين قدموا لنا الكثير باذلين جهودا جبارة في بناء جيل الغد لتبعث الأمة من جديد
لذا نقدم أسمى آيات الشكر و العرفان لأساتذتنا الكرام
و نخص بالتقدير و الشكر الأستاذ الدكتور أبوبكر الصديق حميدي.

إهداء

إلى أعظم نعمة من الله بعد الايمان، إلى من قال فيها الخالق لا لجنة لعبدي بغير رضاها، إلى التي علمتني أن الحياة كفاح، إلى التي وهبتني عمرها وفضلتني عن نفسها وضحت بسعادتها وسهرت الليالي من أجلي، إلى منبع الحنان، إلى قدوتي الأولى، إلى من تستقبلني بابتسامة وتودعني بدعوة، إلى عزيزتي وقرة عيني ثم أمي ثم أمي

إلي من أحمل اسمه، إلى روح أبي الطاهرة التي مافارقت ذاكرتي ووجداني

إلى من بهم أكبر وعليهم أعتد وبهم أفخر وبوجودهم أكتسب قوتي إلى إخوتي وأخواتي

إلى صديقاتي الغاليات كل باسمه وخاصة ريمة وبشرى

أهدي مجهودي المتواضع هذا

أتمنى ألا تكون هذه الخطوة إلا بداية لطريق طويل مليء بالتوفيق والنجاح بإذن الله

إهداء

الحمد لله فائق الانوار وجاعل الليل والنهار ثم الصلاة على سيدنا محمد المختار

اهدي هذا العمل المتواضع

الى التي حملتي في بطنها وهنا على وهن امي الغالية

الى ابي الذي رباني على مكارم الأخلاق

اطال الله في عمرهما

الى اخوتي واخي الكريم الذين كانوا نعم العون والسند لي سواء كان العون ماديا او معنويا

(خلود لميس عبد القادر)

والى كل الاقارب من قريب او بعيد

الى كل من يحب هذا الوطن العزيز الجزائر

قائمة المختصرات

د:ط: دون طبعة

د:ت: دون تاريخ

د:م: دون مكان

د: ن: دون نشر

ج: جزء

م: ميلادي

ه: هجري

تر: ترجمة

تح: تحقيق

تص: تصدير

تص: تصحيح

مر: مراجعة

تع: تعريب

تع: تعليق

مقدمه

يعتبر القرن السادس عشر بالنسبة للعالم عامة وبلاد المغرب العربي خاصة قرنا محوريا اذ شهد تحولا كبيرا على جميع المستويات، واذ عرف بقرن المجابهات البحرية بين مختلف الأطراف، بدون ولا شك قرن التحولات الضخمة في الانظمة السياسية والإتصالات المباشرة والبعثات التي حصلت بين أطرافه عبر البحر الأبيض المتوسط.

لقد كان البحر الأبيض المتوسط مسرحا لصراع عالمي، بين دولتين كبيرتين: إسبانيا والدولة والعثمانية، وكان لهذا الصراع الأثر الواضح على منطقة شمال إفريقيا، فاحتلت إسبانيا سواحل هذه المنطقة، وعلى الرغم من سقوط دولة المسلمين في الأندلس غير أن إسبانيا لم تكف بذلك وقررت ملاحقة المسلمين إلى شمال إفريقيا، لكنها تفاجأت بقوة إسلامية قادمة من شرق حوض البحر الأبيض المتوسط، وهي القوة العثمانية التي إكتسحت المتوسط وإحتلت أجزاء عديدة منه الى ان وصلت الى بلاد المغرب مع مطلع القرن 16م، وهناك حدث الإحتكاك بين الإسبان والعثمانيين الذي تحول بعد وقت قصير الى صراع على أشده عرف بالصراع الاسلامي المسيحي في البحر المتوسط، هذا الصراع بين المسلمين والمسيحيين لم يكن وليد اللحظة بل جاء تبعا لتراكمات تاريخية وسياسية شهدتها بلدان البحر المتوسط، وسعى الإسبان للوصول الى بلاد المغرب لم يكن لملاحقة المسلمين الفارين من الأندلس فقط بل لدوافع اخرى أيضا منها التوسع الإستعماري والحدق الصليبي، وفي ضل هذه الظروف، ظهر رجالان تركيان في تونس، ذاع صيتهما في الجهة الغربية للبحر المتوسط، واشتهرا بالشجاعة والقوة، تضررت بذلك البلاد الأوروبية من أعمالهما كثيرا مثل إسبانيا وإيطاليا حيث تمكن خير الدين رفقة أخيه عروج ان يفرضا نفسيهما في منطقة المغرب الإسلامي، كرجلين قوين يستطيعان صد الاعداء، فدخلوا الى الجزائر، واستقروا بها ليصبح حكمها في أيدي الأتراك الذين حكموها أكثر من ثلاثة قرون.

أهمية الموضوع:

بالنسبة لأهمية الموضوع، يعتبر الجهاد البحري للإخوة بر بروس موضوعا بالغ الأهمية، وذلك نظرا لتأثيرهم في إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية
دوافع اختيار الموضوع:

أما الدوافع التي كانت من وراء اختيارنا لهذا الموضوع فتراوحت بين دوافع ذاتية وأخرى موضوعية منها:

- رغبتنا الشخصية في دراسة تاريخ الجزائر وتسليط الضوء على أهم مرحلة فيه وهي الفترة العثمانية.
- الرغبة في البحث والتعمق في دراسة الموضوع لأننا وجدناه مميّزا وجديرا بالبحث.
- تقديم مساهمة بسيطة ومتواضعة في المجال العلمي، إلى جانب هذا كله إثراء المكتبة الجامعية بهذا الرصيد المعرفي.

ولمعالجة هذا الموضوع جاءت اشكالية المذكرة بعنوان:

ما مدى طبيعة الجهاد البحري للإخوة بر بروس؟ وكيف كان تأثيره في إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية؟

ومن خلال الاشكالية العامة نطرح جملة من الاسئلة الفرعية وهي كالاتي

1/- كيف كانت أوضاع المغرب الاوسط قبيل الوجود العثماني؟

2/- كيف كان نشاط عروج وخير الدين في البحر؟

3/- ماهي الأسباب التي أدت الى دخول الإخوة بر بروس إلى الجزائر؟

4/- فيما تمثلت إنجازات خير الدين البحرية؟

المنهج المتبع في دراسة الموضوع:

لقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج التاريخي الوصفي من خلال سرد الأحداث والوقائع التاريخية في تاريخ الجهاد البحري للإخوة بر بروس وكذا المنهج التحليلي الذي وظفناه في تفسير وتحليل هذه الوقائع

الخطة المعتمدة في دراسة الموضوع:

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة اعتمدنا على الخطة التالية والتي تضمنت مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة فأما الفصل التمهيدي فخصصناه لإعطاء لمحة تاريخية حول أوضاع الجزائر قبيل الوجود العثماني

وأما الفصل الأول فهو بعنوان: نشاط عروج وخير الدين في البحر وقسمناه إلى ثلاث مباحث عالجت في المبحث الأول نبذة عن حياة الإخوة بر بروس وفي الثاني الوجود العثماني في غرب المتوسط وفي الثالث ظهور الإخوة بر بروس في سواحل شمال إفريقيا

أما الفصل الثاني فهو بعنوان: دخول الإخوة بر بروس إلى الجزائر وقسمناه إلى ثلاثة مباحث تطرقنا في المبحث الأول الظروف العامة وأسباب الدخول وعالجنا فيه الظروف العامة وتحرير المدن والموانئ وفي المبحث الثاني تولى خير الدين حكم البلاد وفي المبحث الثالث دور خير الدين في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر وعالجنا فيه ثلاثة عناصر التصدي للحملات الإسبانية على الجزائر وبسط لنفوذ العثماني في الجزائر وتدمير حصن البنيون

وبالنسبة للفصل الثالث والآخر فهو بعنوان انجازات خير الدين البحرية وقسمناه إلى أربعة مباحث عالجت في المبحث الأول تولى خير الدين قيادة الاسطول العثماني ومحاولة ضم تونس والثاني محاصرة جزر البليار وجنوب إيطاليا وجزيرة قورون 1537م

والثالث معركة بريفيزا وبروزة وسيطرة العثمانيين على البحر المتوسط 1538م والرابع
آخر غزوات خير الدين ووفاته وتقويم جهوده في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر

أهم المصادر والمراجع المعتمدة:

اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع نذكر منها:

- كتاب محمد دراج: مذكرات خير الدين ببروس ، أفادنا كثيرا في كل الفصول
تقريبا وخاصة الفصل الاول نشاط عروج وخير الدين في البحر.
- محمد دراج: الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة بر بروس، والذي افادنا
في كل الفصول تقريبا وكثيرا في المبحث الثالث الفصل الثاني دور خير الدين
في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر
- عزيز سامح التري: الاتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، وقد ساعدني في تعريف
شخصية عروج

صعوبات الدراسة:

في اثناء دراستنا لهذا الموضوع واجهتنا بعض الصعوبات والعراقيل نذكر منها:

- مشكلة اختيار الموضوع
- صعوبة التحكم في الموضوع كطلبة مبتدئين وهذا ما زاد الضغط علينا
- عدم التمكن من الاطلاع على المصادر الاجنبية مما أدى هذا العائق إلى عدم
التعمق اكثر في الموضوع
- ضيق الوقت
- عدم قدرتنا على وضع خطة مناسبة تخدم هذا الموضوع
- تشابه المادة العلمية في محتواها، وعدم القدرة على الاختيار المناسب للمادة العلمية

وفي الاخير يمكننا القول انه ان اصبنا في شيء من هذا فبتوفيق من الله وان اخفقنا
فحسبنا اننا بذلنا المستطاع لإتمام هذا العمل والالمام بمختلف جوانبه، محاولين تقديم هذه
الدراسات بصورة مشرفة

الفصل التمهيدي:

أوضاع الجزائر قبيل الدخول العثماني

1. الأوضاع السياسية
2. الأوضاع الاقتصادية
3. الأوضاع الاجتماعية

لقد أعاد سقوط الإمبراطورية الموحدية في المغرب إلى الوضع الذي يظهر أنه كان عليه قبل ظهور الفاطميين، فعلى أنقاض الإمبراطورية، كانت ثلاث دول مستقلة كثيرا ما ناصبت بعضها بعض العداء كما هددتها في الداخل الخصومات بين الأسرة الحاكمة والثورات وهددتها من الخارج هجمات العدو المسيحي المتزايدة¹ وقد شهدت هذه الأقطار الثلاثة بعد نشأة الدول التي أصبحت تعرف بأسماء تونس "المغرب الأدنى" الجزائر "المغرب الأوسط" المغرب "المغرب الأقصى" والتي تباينت سبل تطورها رغم ما تشترك فيها من خصائص².

وخلال الفترة التي أعقبت دول الموحدين كان على هذه الدول الثلاثة أن تناضل أيضا ضد الضغط المتزايد الذي كانت تمارسه على المغرب عامة الدول المسيحية القائمة في شبه جزيرة إيبيريا وإيطاليا وقد وقع هذا الضغط العسكري السياسي والاقتصادي معا نتيجة للتغيرات التي طرأت على ميزان القوى بين أوروبا الغربية وبلدان البحر المتوسط الإسلامية³.

وفي نهاية القرن الخامس عشر كانت الفوضى السياسية والاضطرابات⁴ وتعرض المغرب العربي عامة والجزائر خاصة إلى التهديد الإسباني بعد أن تمكنوا من إنهاء الحكم الإسباني في الأندلس⁵ 1432 واحتلوا أجزاء واسعة ومهمة من الجزائر بين سنتي

¹ ج.ت.نياني، "إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر"، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام (اليونيسكو)، المجلد 04، ص 97

² محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، د:ن، دمشق 1969 ص 06.

³ صبرينة الواعر، "الغزو الإسباني للمدن والموانئ الجزائرية وهران والمرسى الكبير 1505-1792"، مجلة البحوث التاريخية، المدرسة العليا لأساتذة اسيا جبار، قسنطينة، الجزائر، المجلد 4 العدد 1، 2020، ص 36.

⁴ احمد توفيق المدني، حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792، د:نط الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د:ت، ص 68.

⁵ صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر -تونس-الجزائر-المغرب الاقصى، ط6، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، 1993، ص 15.

«1512-1505»¹ وأدخلوا تحت سيطرتهم عدد من المدن الساحلية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط.²

كان سقوط غرناطة «1492/897م»³ حدثا بارزا ومنعرجا حاسما في تاريخ البلاد العربية عامة وبلاد المغرب العربي خاصة غير أن الحقيقة التاريخية تؤكد بأن تاريخ 1492 هو التاريخ سقوط مدينة غرناطة الحقيقي آخر قلاع المسلمين في الأندلس والتي صدمت في وجه الغزو الإسباني لثلاث قوت متتالية رغم سقوط المدن والحوضر الأندلسية بدأ قبل ذلك ببعيد أي منذ سنة 1085 بمدينة طليطة ثم تلتها المدن الواحدة تلو الأخرى.⁴

إن النهاية المأساوية للأمة الأندلسية قلما نجد لها تغير في التاريخ فالدارس يجد نفسه وهو يتصفح يوميات المسلمين المتبقين في الأندلس بعد السقوط أمام صور مروعة لمعاناة المسلمين الذين تحت سلطة الإسبان.⁵

فعلى إثر توقيع معاهدة توردي سيلاس 1494 التي قسم فيها البابا اسكندر يورجيا السادس العالم ما بين إسبانيا والبرتغال أشد حماس الكاردينال أكزميسيس المتعصب للمسيحية فدعا إلى محاربة مسلمي الشمال الأفريقي مثيرا مخاوف الملكة إيزبيلا من

¹ بلقاسم صديقي، "بدايات الوجود العثماني بالجزائر 1505-1519م"، مجلة مشكلات الحضارة، جامعة ابو قاسم سعد الله الجزائر 2020م، ص2

² عبد القادر فكايير، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية واثاره 910-1206هـ/1505م-1792م، دراسة تتناول الاثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر، د:ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2012 ص24

³ مبارك بن محمد الهلالي الميلي: تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج3، د:ط، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ص19.

⁴ جمال يحيوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلس (1492-1610)، د:ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2004 ص25

⁵ جمال يحيوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلس (1422-1610)، ص37-38

الهجوم المضاد المتمثل من طرف مسلمي الشمال الأفريقي فاستجابت الملكة لدعوته وشرعت في إعداد حملة كبيرة ضد المغرب الأوسط الذي كان من نصيب إسبانيا لما جاء في نص المعاهدة¹.

لقد استعمل الإسبان طرق مختلفة في فرض سيطرتهم على المدن الساحلية الجزائرية من أهمها طريقتان رئيسيتان هما: أسلوب القوة العسكرية وأسلوب فرض المعاهدات على زعماء المناطق التي وصلوا إليها تحت طائلة التهديد².

احتلال المرسى الكبير 1505،³ كانت الجزائر تحتوي على أحسن المراسي في البحر الأبيض المتوسط ولكنها قريبة من السواحل الإسبانية وتشرف على مدينة وهران وقد تم هذا الغزو رغم ماكانت تعانيه الخزينة الإسبانية من متاعب مالية التي انهكتها الحروب في كل من غرناطة وإيطاليا وذلك بفضل مجهودات الكاردينال خيميلينيس الذي سخر أمواله الخاصة لتمويل نفقات الحرب⁴، فغادر الأسطول الإسباني مدينة مالقة يوم 29 أوت 1505 وكان يقوده دون رايموند دي قرطبة ، ورغم الأمر الصارم الذي أصدره القائد العام بعدم تحطيم شيء في المدينة أو قيام بأعمال حفر فيها، وقد كانت إسبانيا، تريد الإحتفاظ بها كمركز لعملياتها المقبلة، فإن الجيش الإسباني قد اندفع محطما ومنقبا من أجل التفتيش عن الأموال والذخائر التي يكون المسلمون قد تركوها ورائهم⁵.

لم يكفوا باحتلال المرسى الكبير توجه إلى وهران وبإضرار من الراهب خمينسيس الذي قاد نفسه حملة من مرسى قرطاجة الإسبانية يوم 12 ماي 1509م/881هـ ضمت

¹ أسماء ابلالي، "التحريشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 10هـ/16م"، مجلة روافد للبحوث والدراسات،

جامعة غرداية، الجزائر، العدد 2، 2017، ص 34

² عبد القادر فكايير، المرجع السابق، ص 34

³ المرجع نفسه، ص 35

⁴ المرجع نفسه، ص 37-38

⁵ احمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 96-97

أكثر من خمسة عشر ألف مقاتلا يتولى قيادتهم بطرس التقاري¹. وتذكر الروايات التاريخية أنحاكم مدينة وهران نفسه وكإجراء دفاعي وأمر كل الوسائل والأسباب لتحقيق النصر على العدو الإسباني مسلحين بالعزيمة والحمية وحب الجهاد رغم قلة العدد والعتاد والعدة وقد خرج للقاء العدو لكن اضطرتهم الظروف الداخلية إلى العودة إلى وهران والإجتهاد بحصوتها وأسوارها.

احتلال بجاية 1510م أخذت إسبانيا المسلحة بالحقد المسيحي والدهاء السياسي بعد احتلالها للمرسى الكبير ووهران تستولى على سواحل المغرب الأوسط فكان أن وجهت أنظارها هذه المرة إلى الناحية الشرقية فاحتلت بجاية العاصمة الثانية للحفصيين²، شهر جانفي 1510م ألق الأسطول يشمل 20 سفينة كبيرة تحمل على متنها عشرة آلاف رجل من صفوة الجيش تعززهم مدفعية ضخمة وألات عديدة وسلاح وفير³، وعند دخولهم المدينة أخلوا السيف في الرقاب من وجوده من أهلها والمدافعين منها وأسرفوا في القتل كما أسرقوا في وهران.

وبعد أن شبت الإسبان وجودهم في بجاية أذنوا لأهالي المدينة في العودة إلى منازلهم فرجع كثير منهم، لكن خارج المدينة رفض رجال القبائل الاعتراف بسلطة الملك عبد الرحمان عليهم، وفي الوقت الذي كان فيه الإسبان يثبتون وجودهم باتت سلسلة لينة تجاه السكان لتحقيق من موجه السخط والمعارضة فتمكنوا من احتلال مدينة عنابة دون مقاومة تذكر⁴.

¹ المرجع نفسه، ص 110.

² أسماء ليالي، المرجع السابق، ص 45

³ احمد توفيق المدني، المرجع السابق، 120

⁴ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة بربروس (1512-1543)، نص ناصر الدين سيعودني،

ط1، شركة الاصاله للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012 ص 112-113

بعدما خضعت المدن السابقة الذكر إلى الاحتلال العسكري تعرضت من جهة أخرى وإمارات إلى نفس المصير إذ وجدت نفسها مجبرة على توقيع معاهدات الولاء للإسبان، فالنتيجة للضعف الذي أصاب السلطة المركزية في تلمسان توجهت الأقاليم الساحلية التابعة لها على إعلان انفصالها ثم وجدت نفسها بعد ذلك مضطرة إلى التحالف مع الإسبان، كما هو شأن بالنسبة لتتس ومستغانم ونفس المسبب لحق بمدينة الجزائر¹، وهذه الأخير إجتماعاً أعيانها وتشاوراً في الأمر وفي النهاية استقر رأيهم على إرسال وفد منهم إلى بجاية للتفاوض مع الإسبان للوصول إلى اتفاق يحفظ لهم حياتهم ومدينتهم/ وبعد أيام من سقوط بجاية توجه وفد مدينة الجزائر يرأسه الشيخ سالم للاجتماع بقيادة الحملة الإسبانية بيدرو نافارو حيث اتفق الفرقان على:

- عقد سلام بين مدينة بجاية والإسبان.
- تقعد الجزائر بين باطلات سراح من أيديهم من الأسرى المسبيين.
- عدم التعرض للسفن الإسبانية سوء².

1-الأوضاع السياسية

بلغ التفكك السياسي في شمال إفريقيا في أوائل القرن 16 ورغم تهديد الخطر الخارجي³، فقد عرفت الدول الزيانية متاعب كثيرة منها التدخلات الأجنبية في شؤونها الداخلية من سلاطين الدول المجاورة المرينيين في المغرب الأقصى والحفصيين في تونس كان آخرها التعرض إلى الخطر الإسباني الذي تطور إلى التلاعب بمصيرها من أجل السيطرة عليها. ولقد وصلت مملكة بني زيان خلال التحقيق الأول من القرن السادس عشر إلى درجة قصوى من الضغط بسبب النزاع الداخلي بين أمراتها على كرسي الحكم⁴،

¹ عبد القادر فكاير، المرجع السابق ص39

² محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الأخوة ببروس، المرجع السابق ص39

³ محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الأخوة ببروس(1512-1543)، المرجع السابق ص129

⁴ عبد القادر فكاير، المرجع السابق، ص72

وقد شجع هذا الوضع الاسبان على تطبيق مخطط عملي للنيل من هذه الدولة: منها الأعمال التحسيسية والاسراع في احتلال أهم موانئها، ثم الاتصال مع تلمسان وترغيبهم في الوقوف إلى جانبهم، وكانوا من حيث آخر ينظمون هجوما على تلمسان لتأمين تلك التبعية¹.

وعليه كثير هي تلك المحاولات التي قام بها كل من المرينيون والحفصيون للحيلولة دون استقرار بني زين وأشهر تلك المحاولات قيام الأمير المرني المعتصم باسترجاع تلمسان لحكمه لولا تمكن لعمراسن من القضاء عليه ومنه بقيت الدولة الزيانية علي هذا المنوال من الكر والفكر، إلى غاية مجيء أبو سعيد عثمان الذي نجح في مهادنة القوتين الشرقية والغربية «الحفصية والمرينية» ولكن لوقت قصير حيث تعرضت تلمسان للحصار لمدة ثماني سنوات كاملة².

وقد رفع الحصار بعد وفاة السلطان المريني يوسف بن يعقوب الذي أقبل من قبل أحد خدمة لتتبع البلاد من جديد، وتتوسع على حساب الجفصيين إلا أن المرينيون احتلوا تلمسان مرة أخرى³ 1337⁴.

فبقت تلمسان تابعة للمرينيين حتى تكاثفت الجهود الزيانية الحفصية في عهد الأمير الزياني أبو حمو موسى الذي شكل جيش قويا وتمكن من استعادة تلمسان وذلك سنة 1359 ثم وهران سنة 1361م⁵.

¹ المرجع نفسه ص 80-81

² عمار بوحش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، د:ط دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان- 1997م ص 45

³ شوقي عطا الله جمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا. تونس. الجزائر. المغرب) مكتبة الانجلو المصرية، 1977م، ص 34

⁴ محمد دادة، تلمسان تلمسان في دوامة الصراع الثلاثي بين الاسبان والعثمانيين والمغاربة في القرن 16م، مجلة العصور الجديدة، العدد 2، 2001م، 194، الجزائر ص 194

⁵ عمار بوحش المرجع السابق، ص 46

وبسبب التفكك الذي أصاب بلاد المغرب ونتيجة الفوضى المتزايدة من الناحية السياسية أصبح المغرب الأذن والمغرب الأوسط خليفًا من الوحدات السياسية الصغيرة التي يمكن ملاحظة تنوعها الكبير دون أن تتمكن من تحديدها بشكل دقيق، وبعد سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين كانت دافعا متزايد لقيام إسبانيا كدولة، مما ساعد وشجع حركات الغزوا لأجنبي والمسيحي بالهجوم على موانئ شمال إفريقيا¹.

2- الأوضاع الاقتصادية

بالرغم من سوء الأوضاع السياسية التي كانت تعيشها المملكة الزيانية في مطلع القرن 16م ولم ينقطع عنها التجار في الأوقات العصيبة وكانت تحوطها علاقات تجارية قوية مع المغرب والبلاد الاستوائية والأندلس، تستورد وتصدر السلع والبضائع المختلفة، والتجار يرسلون سلعهم من تلمسان ووهران إلى ماوراء الصحراء عن طريق سجلماسة، حيث كانت قوافلها تلتقي بقوافل المغرب الأقصى، ثم تنتقل جميعا إلى تومبركنو غانا وتخرج قوافل أخرى من الصويرة ووادي نوت ونؤم موريتانيا والسنغال إلى مالي وغانا وغينيا².

ولم تقتصر تجار تلمسان على جهات الصحراء فقط بل كانت تقوم بدور الوسيط مع الاسواق الأوروبية عبر موانئ المرسى كبير وميناء وهران وهنين التي لعبت دورا كبيرا في انعاش الحركة التجارية بهذه المملك³، وهذا الأخير هنين احتله تدمر من قبل الاسان، كما شدد والخفاق عليها واجبار ملوكها بأموائها ومشايخها الذي خضعوا لهم أو تحالفوا معهم على دفع مقادير مالية وسياسية وزراعية حسب المعاهدات المبرمة بين الطرفين⁴.

¹ جلال، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، د:ط، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 1999، ص 54

² محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة بربروس، ج2، د:ط، المرجع السابق ص96

³ لمارمول كريجال، افريقيا، تر: محمد حجي واخرون، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1988-1989م،

ص 329-372

⁴ عبد القادر فكاير، المرجع السابق، ص 142-143

أما التجارة الخارجية فقد توقفت مع مطلع القرن 16م¹. تأثرت كثيرا بعد الكشوفات الجغرافية الأوروبية والإسبانية مما نتج عنه اكتشاف طرق تجارية خارجية جديدة، وبذلك فقد المغرب الأوسط أهمية التجارية بين أوروبا وبقية بلاد المغرب مثل تلمسان وهران عنابة وبيجاية وغيرها².

أما بالنسبة للتجارة المحلية بين المدن الداخلية، وكذا النشاط الزراعي والصناعي أصابهما التدهور والركود بسبب الحروب الأهلية التي كانت تقع بين المتنازعين على العرش أو بين القبائل، كما أن غياب السلطة على التجار والموازيين والصناع وسلبهم ممتلكاتهم وقتلهم فاضطر هؤلاء البؤساء إلى هجر مزارعهم ومصانعهم بينما انتقل من استطاع منهم إلى أماكن أكثر أمنا لممارسة تجارتهم أو صناعتهم³.

فالصناعة فلم تعرف بلاد المغرب الأوسط صناعة حقيقية بالمفهوم الشائع في ذلك الوقت حيث كانت بعض الحرف الموزعة في بعض الأماكن من بلاد مثل صناعة الزرابي والنسيج والأقمشة والحرف الخاصة بتلبية متطلباتهم مثل صناعة الفؤوس والحناجر سروج الخيول والأواني الفخارية⁴.

وعند الحديث عن الأوضاع الاقتصادية فإنه لا بد لتأمين التعرّيج على نظام الضرائب، فقد امتازت من حيث فرضتها على كل قبلية معارضة للسلطة وغيرها متوافقة مع سيادتها المنتهجة من قبل الأسر الحاكمة في حيث أعقبت قبائل أخرى من دفعها وهي تلك القبائل المتحالفة مع نظام الحكم⁵، ولم تنتهي قضية الضرائب المفروضة عليهم هنا، فقد رأت ثورة القبائل بد أن فرض الإسبان بمجبيئهم غرامات مرتفعة على حال سكان

¹ صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، د:ط، دار رهوة، الجزائر 2012، ص 17

² عبد القادر فكايير، المرجع السابق، ص 203-206

³ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة ببروس، المرجع السابق، ص 70

⁴ مارمول كريجال، المرجع السابق، ص 351

⁵ جلال يحي، المرجع السابق، ص 51

مدينة الجزائر فلم تكتفي إسبانيا بالسيطرة على التجارة بل عهدت في سنة 1511م إلى فرض ضريبة بقيمة خمسين بالمائة على المنتوجات المستوردة وذلك لأسترخ فردينا بد جمع الأموال التي صرفت على هذه الحملة¹.

3-الأوضاع الاجتماعية

لقد كان مجتمع المخرب الأوسط في العهد الزياني يتكون من الأمازيغ المنحدرين من قبيلة زتانة، وقد اختلفت سبل عيشتهم ما بين الزراعة والرعي ينشرون في الجبال والسهول العليا والصحراء، بالإضافة إلى العرب الذين دخلوا المغرب العربي مع الفتح الإسلامي واختلطوا بالبربر وامتزج بعضهم ببعض من غير أندماج فتقادموا وسكانوا في المدن².

عرفت الجزائر محنة المسلمين في الأندلس التي أدت إلى هجرات واسعة من شبه جزيرة إيبيريا إليها كان المهاجرون من المسلمين ومن اليهود، فالمسلمون كان بينهم دزر كبير في تطور الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية في المغرب العربي بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة، وذلك استطاعوا ربط المجتمع العربي الأمازيغي البربري بالمجتمع الأندلسي الحامل بين طياته الفكر الأوربي³، أما اليهود في الحقيقة خرجوا من الأندلس مع المسلمين كان خطة وتأمرا من النصارى ليهدموا في بلاد الإسلام وقت حققوا بعضها⁴.

¹ ويليام سبنسر، الجزائر في عهد الرياس البحر، تع وتيق عبد القادر زبدي، دار القصب للناشر، 2006م ص 35-36

² سهيلة العيدي، واسطة السلوك في سياسة الملوك لابي حمو موسى الثاني الزياني (دراسة اسلوبية) اطروحة دكتورا،

الادب واللغات كلية الادب واللغات، جامعة محمد حتضير بسكرة 2020/2019 ص 12-13

³ صالح عباد، المرجع السابق، ص 19

⁴ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي _ع1_ التاريخ المعاصر بلاد المغرب، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996م،

كما كان سكان الجزائر في أغلبية بعض حياة ريفية يعاني حالة البؤس وانعدام التماسك الشعبي واشتياقهم نحو العصيان والتمرد في وجه الحكومات المتهالكة وشيوع الخرافات بين أوساط السكان مما تسبب في ضعف المقاومة في بعض الأحيان¹.

حيث انقسم المغرب الأوسط أو آخر القرن 15م إلى إمارات قبلية وبطنون وقبائل مختلفة ومتنوعة وموزعة على هذه البلاد، فقد استغل بنوعية الواد وقبائل فطين بتلمسان وقبائل بن عامر العربية التي كان يعمر است قطعها الصحراء المحيطة بوهران وتلمسان²، أما بقية البلاد الشرقية والوسطى والجنوبية فكانت مقسمة إلى إمارات قبلية عديدة منها: القبائل العربية البربرية فمن القبائل العربية نجد قبيلة الثعالبية في سهل متيجة وقبيلتين صنهاجية وزوتوة بجمال جرجرة وقبائل توجين وديالم في جبال تالونشريس ويجتمعون هناك مع بقايا لواته وهوارة وقبيلة يزيد وحسين وعطاف وسويد في منطقة الصفات إضافة إلى قبائل بتوميراب وفراوة في الواحات³.

وبسبب الظروف التي كانت تعيشها بلاد المغرب الأوسط أدت إلى هجرة العديد من السكان سواء إلى المغرب الأقصى أو إلى تونس⁴، أو إلى مناطق جبلية أو داخلية بعيدة عن الصراعات⁵، كما أدى إلى انعدام الأمن وعدم الاستقرار السياسي فانتشرت الفوضى بين الناس في كل ميادين الحياة وفي مختلف أرجاء البلاد⁶، مما حفرت تلك الأوضاع التي كانت سائدة في هذه المنطقة القوى الأوربية على ممارسة العداوات على مناطق الداخلية الإفريقية للحواف البحر الأبيض المتوسط⁷.

¹ عبد القادر فكايير، المرجع السابق، ص15

² محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة بربروس، المرجع السابق، ص97

³ أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص93-94-95

⁴ عبد العزيز فيلالي، بحوث في تاريخ المغرب الاوسط في العصر الوسيط، د:ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014 ص130

⁵ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة بربروس، المرجع السابق، ص98

⁶ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق ص131

⁷ عبد القادر فكايير، المرجع السابق، ص16

الفصل الأول:

نشاط عروج وخير الدين في البحر

المبحث الأول: نبذة عن حياة الإخوة بربروس

1-عروج رايس (1470-1518م)

2-خير الدين بربروس(1472-1546م)

المبحث الثاني: الوجود العثماني في الغرب المتوسط

المبحث الثالث: ظهور الإخوة بربروس في سواحل شمال افريقيا

المبحث الأول: نبذة عن حياة الإخوة بربروس

1- عروج رايس (1470م-1518م):

هو الأخ الثاني في عائلة بربروس بعد اسحاق رئيس لعب دورا أساسيا في التمهيد لأخيه خير الدين في بسط نفوذ الدولة العثمانية بالجزائر¹.

إسمه «عروج» أو «أوروج» مأخوذ من حادثة الإسراء والمعراج الذي يرجع أنه ولد ليبتها، وأن الترك ينطقونه «أوروج» ثم عرب إلى «عروج»².

وكان رفاقه ينادونه بأسم عروج بابا على سبيل الإحترام، عرف هو وأخوه خير الدين بأسم بربروس بسبب شقرة لحيته.

ولد عروج سنة 1470م بجزيرة ميدلي التي استقر بها محمد يعقوب أغا الذي كان أحد فرسان السباهية³، بعدما فتحها السلطان محمد الفاتح⁴ سنة 1457م⁵، أمر الأتراك بالإستيطان بالجزيرة، فكان والده يعقوب أحد المستوطنين الاوائل وكانت له أرض اقطاع وهبت له بأمر من السلطان محمد الفاتح، عند الاستقرار بالجزيرة تزوج من احدى بنات أهالي الجزيرة⁶.

فأنجبت له أربعة أطفال أكبرهم اسحاق ويلييه عروج ثم خضر وآخرهم الياس⁷.

¹ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة بربروس (1512-1543م)، المرجع السابق، ص150-151
² علي الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، دار التوزيع والنشر الاسلامية، د:م، 2001 م، ص207

³ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر...، المرجع السابق، ص 151-152

⁴ محمد دراج، مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد دراج، ط1، دار الاصاله للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص21

⁵ عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في شمال افريقيا، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989، ص27

⁶ محمد دراج، مذكرات خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص21

⁷ عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص27

وقد حرص الأب على تنشأة أبنائه تنشأة إسلامية صلبة، وقد اختار الابن الأكبر طريق العلم والمعرفة فمضى في دراساته الإسلامية في حين انصرف بقية الإخوة للجهاد¹.

وإختاروا البحر ميدانا لهم، فكان عروج هو الذي فتح المجال أمام إخوته إذ أنه ركب البحر ولم يتجاوز العاشرة من عمره² فكان هو وأخوه خير الدين يبيعان الفخار لأبيهما في جزر اليونان بواسطة بعض المراكب³ حيث كانت مهنة والده قبل الدخول في الجندية تتمثل في صنع أواني الخزف⁴.

اشتغل في البداية بالتجارة حيث انتقى عروج سفينة وإنطلق بها للتجارة في البحر وكان ينتقل بين سلانيك واغريبوز ويجلب منها البضاعة ويبيعها في ميدلي، إلا أنه لم يقتنع بهذه الأسفار القريبة إذ كان يرغب في الذهاب إلى طرابلس والشام ومصر⁵.

ثم إشتغل مع أخيه الياس في التجارة البحرية بين مصر والشام وطرابلس والأناضول واكتسب من ذلك ثروة طائلة حيث لفت انتباه الأمير قرقود أخ السلطان سليم الأول الذي كان واليا على انطاليا ومعروفا بحمايته للبحارة الاتراك فلقى منه حماية وعونا خاصين.

في أحد أسفاره التجارية إلى طرابلس اعترض طريقه قراصنة جزيرة رودس فاستولوا على سفينته وقتلوا أخاه الصغير الياس، بينما أخذوا عروج أسيرا معهم، ولم يوافقوا على

¹ بسام العسلي، خير الدين بربروس، ط1، دار النفائس، بيروت، 1980م، ص27

² بسام العسلي، المرجع السابق، ص27

³ جميل عائشة، الجزائر والباب العالي من خلال الارشيف العثماني 1830-1520م، اطروحة دكتوراه، تاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي ليايس، سيدي بلعباس، 2017-2018م، ص27

⁴ مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، د:ط، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، د: ت، ص33

⁵ محمد دراج، مذكرات خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص22

قبول الفدية الكبيرة التي قدمها خير الدين¹ التي قدرت ب 1000 أقة ذهبية²، مصرين على التمسك به املا في الحصول على مكاسب اكثر³

عمل في المجاديف والقيد في رجليه لمدة سنتين⁴.

تأثر أخوه خضر تأثيرا كبيرا لأسر أخيه حيث كان له صديق مسيحي تاجر ينتقل ما بين رودس وميديلي طلب منه أن يأتيه بأخبار عروج، ومن هناك تابع الرجل المسيحي طريقه إلى جزيرة رودس لإطلاع على أحوال وأخبار عروج وأخبره بأن أخاه جمع مبلغا من المال لفديته وإنقاذه، فسر عروج من عمل أخيه كثيرا⁵.

في تلك الفترة كان الامير قرقود قد تعود على أن يشتري كل سنة مائة اسير تركي من أيدي النصارى ويعتقهم من الاسر في سبيل الله وفي تلك السنة ارسل حاجبه الى رودس لفداء الاسرى وكانت الاتفاقية تقضي بأن يحمل الاسرى في سفينة رودسية الى سواحل أنطاليا،⁶ وكان عروج من المكلفين بالتجديف في السفينة التي تحمل الاسرى⁷ ونظرا لقيمة عروج فإن الرودسيين لم يجعلوه ضمن المائة أسير الذين سيتم الافراج عنه.

كان عروج خفيف المزاج يتكلم الكثير من اللغات لاسيما الرومية التي كان يتقنها، وكثيرا ما كان يتبادل اطراف الحديث مع القباطنة الرودسيين، وذات يوم قال القباطنة

¹ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة بربروس، المرجع السابق ص153

² عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 9

³ محمد دراج، الدخول العثماني ودور الاخوة بربروس، المرجع السابق، ص153

⁴ بسام العسلي، خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص27

⁵ عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص29

⁶ محمد دراج، مذكرات خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص29

⁷ يحي بو عزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م، ص10

لعروج "أيها التركي: انت رجل حلو الحديث خصوصا بلساننا الذي تعرفه جيدا ما الذي وجدته في الإسلام؟ تعال ادخل في ديننا وسوف يكون لك شأن كبير بيننا"¹

فاجابهم عروج قائلا:

" أيها المجانين: كل شخص يروقه دينه هل يوجد نبي افضل من محمد صلى الله عليه وسلم لأؤمن به؟"

" اذن لتبق على حالك، وننظر كيف يخلصك نبيك من ايدينا والآن لتستمر في الجدف "

حيث قال قسيس السفينة التي قيد فيها عروج للقباطنة محذرا:

" يجب ان تحذروا مما يقوله عروج، فلا تتحدثوا معه كثيرا إنه يبدو متعلما ويعرف عن الاسلام أكثر مما اعرفه عن المسيحية"

في تلك الليلة كانت تهب ريح معاكسة قرر الروديسيون بسببها انتضار الصباح².

اغتم عروج هذه الفرصة وتمكن من الفرار³ فحل قيوده وألقى بنفسه في البحر، حتى وصل إلى الساحل ثم سار حتى وصل قرية تركية وأمضى عشرة أيام في تلك القرية التي كان أهلها يتخاصمون على استضافته في كل ليلة

أما الروديسيون فأدركوا ان عروج قد تمكن من الفرار ورجعوا إلى رودس والحسرة تأكل قلوبهم، وبعدها غادر عروج القرية متوجها إلى ميدلي فبلغ أنطاليا⁴، حيث تعرف على شخص اسمه علي رئيس إصطحبه معه الى مصر وكلفه بقيادة مركب بحري

¹ محمد دراج، مذكرات خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص 29-30

² المرجع نفسه، ص 30

³ يحي بو عزيز، المرجع السابق، ص 11

⁴ محمد دراج، مذكرات خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص 31-32

يحصل الأخشاب لصنع السفن¹، وعمل مساعدا له حيث إستأنف رحلاته إلى الاسكندرية².

وهناك قبل عرض السلطان المملوكي قانصو الغوري بالدخول في خدمته ثم عينه قائدا للأسطول وأمر ببناء اسطول من 40 سفينة لمواجهة البرتغاليين في البحر الاحمر والمحيط الهندي³.

حيث كتب السلطان مرسوما ملكيا إلى والي أدنة ADANA أمره فيه بأن يرسل إلى ميناء باياس ما يكفي لصناعة أربعين قطعة بحرية من الأخشاب، فأعد والي أضنة الأخشاب المطلوبة وأرسلها إلى ميناء باياس، فخرج عروج في ستة عشر سفينة إلى باياس لأخذ الأخشاب على أن يتجه بعدها الى مصر⁴.

غير أن الرودسيون كانوا يتابعون حركات عروج وحينما علموا برسوه في الميناء المذكور أغاروا عليه فتمكن من الانسحاب مع رجاله إلى البر وتمكنوا من تخريب 16 قطعة من سفنه التي كانت راسية في الميناء ترك عروج خدمة السلطان الغوري الذي اقترح عليه قيادة الاسطول المملوكي المتوجه إلى المحيط الهندي لمواجهة البرتغاليين، معتذرا بأنه لا يستطيع العمل خارج مياه البحر المتوسط⁵.

¹ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص11

² محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة بربروس، المرجع السابق، ص154

³ المرجع نفسه، ص154

⁴ محمد دراج، مذكرات خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص34-35

⁵ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة بربروس، المرجع السابق، ص 154.

بعد هذه الحادثة ترك عروج خدمة المماليك وإتصل بقرقود فمنحه سفينة حربية كبيرة ذات 18 مقعدا اغار بها على سواحل رودس¹، كما قام بأعمال القرصنة التابعة لسفنها وبث الرعب في نفوس الرودسيين فغنم من ذلك غنائم كثيرة وعددا كبيرا من الأسرى².

الأمر الذي جعل الرودسيون يهتمون بأمره وهاجمو سفينته الى انه تمكن من الفرار مع رفاقه فأعطاه الشهزادة قرقود سفينة أكبر من سابقتها³ ذات 24 مقعدا ونصحه بأن يوجه نظره للجهاد في غرب البحر المتوسط على خطى كمال رئيس، فتوجه عروج إلى السواحل اليونانية، فأغار عليها واستولى على سفينتين تجاريتين تابعتين للبندقية، كانتا تحملان 24000 دوقة ذهبية وكميات كبيرة من الاموال المختلفة⁴.

ثم توجه إلى سواحل الروم فصادف في عرض مياه جزيرة أغريبوز ثلاث سفن أخرى تابعة للبندقية، عندما رأى كفار البندقية سفن عروج شرعوا في اطلاق قذائفهم عليه، فشرع عروج إلى الإقدام على مهاجمة السفن التي كانت قد حولت البحر الى جحيم بقذائف مدافعها وأغارو بهم واستولوا عليها بعدما أخذو 285 اسيرا وكميات كبيرة من الأموال، فكانت السفن تبدو كالسلحفاة من ثقل الغنائم التي كانت تحملها، فقدموا بها إلى ميدلي في إحتفال كبير⁵.

¹ فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، ص530

² محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة بربروس، المرجع السابق، ص155

³ فاضل بيات، المرجع السابق، ص530

⁴ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة بربروس، المرجع السابق، ص155

⁵ محمد دراج، مذكرات خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص39-40

غير أنه إضطر إلى إيقاف نشاطه بعد اعتلاء سليم الأول السلطنة وإعدامه أخاه قرقود فأصبح يوجس خيفة منه لكونه من أتباع قرقود فتركها متوجها إلى مصر وتقرب من السلطان قانصو الغوري وكان بقاءه في مصر مؤقتا¹.

ثم إنطلق إلى ليعاود نشاطه البحري وتمكن في السواحل القبرصية من الإستيلاء على خمس سفن تابعة للبندقية ومن هناك توجه نحو الغرب الى جزيرة جربة بتونس حيث باع غنائمه لتجار الجزيرة التي غيرت مسار حياته نهائيا وجعل من جزيرة جربة قاعدة له وأسس بها مستودعا لتخزين غنائمه

وفي هذه الفترة التقى بأخيه خضر في عرض البحر فوحدا الأخوان نشاطهما في هذه المنطقة².

وإتفق مع سلطان تونس على جعل ميناء جربة قاعدة ينطلق منها في غزواته البحرية على ان يدفع له خمس الغنائم التي يحصل عليها³.

2- خير الدين بربروس (1472-1548):

اسمه خضر وأطلق عليه السلطان سليم الأول اسم خير الدين ولد في حدود 1472 بجزيرة ميدلي بعد أخوه عروج⁴.

يرجع أصله إلى الأتراك المسلمين وكان والده يعقوب بن يوسف من بقايا الفاتحين المسلمين الأتراك الذين إستقروا في جزيرة ميدلي احدى جزر الأرخبيل⁵.

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص 530

² المرجع نفسه، ص 530

³ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الإخوة بربروس، ص 157

⁴ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر ودور إخوة بربروس، المرجع السابق، ص 165

⁵ محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 206-207

أما عن والدته اختلف المؤرخون وتضاربت الآراء حول أمه فمنهم من يقول أنها كانت بنت أحد رهبان الإغريق وأن يعقوب كان مسيحياً وأسلم وأنها كانت أرملة راهب يوناني¹.

إلا أن المؤرخ الجزائري أحمد توفيق المدني ينفي هذه الإدعاءات ويقول بأنها اندلسية وأن يعقوب كان تركيا مسلماً².

ويقول زكريا سليمان بيومي في كتابه، "قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين" أن الأخوان عروج وخير الدين بربروس ينتميان إلى أسرة مسلمة وأمهم سيدة مسلمة اندلسية كان لها تأثيرها في تحويل وجهتهم في نشاطهم شطر بلاد الأندلس التي كانت تعاني في ذلك الوقت من بطش الإسبان والبرتغال³.

اشتغل بالتجارة في مطلع شبابه إذ كانت إذ كانت له سفينة يتاجر بها بين سلانيك وأغريبوز وبعد نجات أخيه من أسر فرسان رودس لحق بأخيه بتونس الذي كان قد سبقه إليها⁴.

أطلق النصارى لقب بربروس على كل من الأخوين الذين أصبح مصدر الرعب والفرع في البلاد النصرانية⁵.

وذوي اللحي الشقراء صفة أطلقها-الافرسيون- على تلك العائلة التي تزعم أفرادها عملية الجهاد في البحر(بربروس) ثم نقلت إلى العربي بحرفيتها وبقيت سائدة حتى كادت تطغى على الأسماء الأصلية لمجموعة الأخوة المجاهدين⁶.

¹ احمد توفيق المدني، المرجع السابق،ص156

² وليام سبنسر، المرجع السابق، ص37-38

³ زكريا سليمان بيومي، قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، ط1، عالم المعرفة للطبع والنشر، السعودية، 1991، ص78

⁴ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الإخوة بربروس، المرجع السابق، ص 165

⁵ احمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص158

⁶ بسام العسلي، خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص26

أما عن صفاته فقد إمتاز خير الدين بالعديد من الصفات الحسنة منها أنه كان هادئاً غير متسرع في إتخاذ قراراته وكثيراً ما يلجأ إلى مشاورة العلماء في تطبيق حدود الله وإمتاز بالتسامح مع اعدائه عكس أخيه عروج الذي اتصف بالتصلب إضافة إلى هذا فكان جاحض العينين ضعيف البصر أشقر اللون كثيف اللحية¹.

أما عن شخصيته فكان شخصية لامعة فذة أما عن سمعته فقد تجاوزت البحر المتوسط هيمنة الأفكار وطبعت عصراً كاملاً بطابعها الخاص وأطلق على كفاحه عصر خير الدين فكان يتصف بالجرأة وغير متسرع ولا يبالي بالعقوبات².

والثقة في السياسة وقيادة الملك، عبقريته لم تتخلى عن صاحبها ساعة الحرب ولإساعة السلم ومقدرة على قيادة الرجال وقد تميز بالقدرة على العطاء، فكان ظاهره كباطنه وكان باطنه كظاهرة، صفو وإخلاص وإنقطاع لخدمة الله وإعلاء شأن دينه³.

وزيادة على ذلك كان يتقن عدة لغات منها اليونانية لغة والديه والعربية والتركية لغة الدين والدولة بالإضافة الى البربرية والإيطالية والإسبانية والفرنسية.....بحكم عمله في البحر⁴.

¹ خليصة شبابي، شخصيات ومواقف من تاريخ الجزائر الحديث 1519-1830م مذكرة لنيل شهادة الماستر، تاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018-2019م، ص8-9

² احمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص203

³ المرجع نفسه، ص204

⁴ رشيد بن جدي، رياس البحر في الجزائر ودورهم العسكري والإقتصادي منذ بداية الوجود العثماني الى غاية نهاية مرحلة البيلار بايات 1518-1587م، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تاريخ الجزائر الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018-2019م، ص19

المبحث الثاني: الوجود العثماني في غرب المتوسط

تشغل الدولة العثمانية حيزا كبيرا للغاية في التاريخ سواء تاريخ العالم الإسلامي أو تاريخ العالم الأوروبي المسيحي امتدت فتوحاتها إلى ثلاث قارات: آسيا وأوروبا وإفريقيا، وكانت جيوشها أكثر الجيوش الأوروبية تعددا وأحسنها تدريبا وأعظمها تسليحا وأكملها تنظيما¹.

وعندما كانت الكذبة العارمة تحل بالمسلمين في الأندلس وعندما كان نجم المسلمين يأفل ببلاد المغرب الإسلامي الأوروبي كان هناك نجم ساطع يتألق نوره ببلاد المشرق الإسلامي هو نجم الدولة التركية العثمانية التي نمت في أوروبا في بلاد الأناضول، ثم تدفقت سيلا إسلاميا عارما على ما يليها من أقطار أوروبا وإفريقيا وآسيا².

حيث يرتبط الوجود التركي عموما والعثماني خصوصا في غرب البحر المتوسط بقضية المسلمين في الأندلس، وبطلب من أهالي الأندلس تدخل السلطان العثماني بايزيد الثاني لحمايتهم مما يتعرضون له من ضغط وإرهاب مسيحي بعد سقوط غرناطة³.

الذي كان على رأس الدولة العثمانية وكانت الدولة في وقته قد تربعت على جزء كبير من آسيا الغربية وأوروبا الشرقية، لم تكن سيطرتها قد بلغت إفريقيا أو البحر المتوسط، ما عدى سيطرتها على بعض الجزر في بحر إيجه التي كانت نقطة تنافس بين العثمانيين والبنادقة وفي الوقت نفسه منطلقا للحملات العسكرية والتوسع⁴.

¹ عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1، د:ط، مكتبة الأنجلو المصرية للطبع والنشر، القاهرة، 1980م، ص9

² احمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص56

³ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الإخوة بربروس، المرجع السابق، ص 176

⁴ سامية مبرك، مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية في البحر المتوسط خلال ق16م، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تاريخ الجزائر الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بو ضياف المسيلة، 2018-

2019م، ص12

سمي بايزيد الصوفي لكثرة المسالمة ولكنه إضطر لخوض غمار بعض الحروب الداخلية والخارجية، فقد أعلن الحرب على المماليك في عامي 1484-1445 وتحقق له نصر وجرى اشتباك بحري مسلح بينه وبين الإسبان وهاجم أسطوله الذي أرسله لمساعدة المسلمين في الأندلس، حيث لم تتجرأ أي دولة أو إمارة على الإشتباك في القتال معه¹.

ثم أرسل بايزيد الثاني البحار كمال رئيس على رأس أسطول كبير لمساعدة المسلمين الإسبان ومنذ ذلك الحين ضلت السفن راسية بصورة دائمة في مياه البحر المتوسط تقوم بالقرصنة ضد السفن التجارية الأوروبية أو تنقل الأسلحة إلى المورسكيين وأحيانا تدافع على الموانئ الأفريقية، الشمالية ضد الغزاة الأوروبيين².

ونقل أولى قوافل المهاجرين المسلمين واليهود إلى تركيا ثم كرر الإغارة على سواحل إسبانيا سنة 1510م وقد رافقه في هذه الحملة بيري رئيس.

حيث كان كمال رئيس يعمل في غرب البحر المتوسط قبل أن يعرض عليه بايزيد الدخول في خدمته، وأخذ بيري رئيس من جزيرة جربة قاعدة له ينطلق منها للإغارة على السواحل والجزر الأوروبية، كما أغار على بجاية وعنابة والسواحل الفرنسية وجزر البليار³.

وكان بعض التجار يعملون في خدمة الباب العالي مباشرة فيما كان البعض الآخر يعمل في خدمة سلطان تونس الحفصي وغيره من الحكام المحليين وفي أكثر الأحيان كان الرياس العثمانيون يتصرفون بمبادرة ذاتية وكثيرا ما كانوا يعملون كقراصنة مستقلين مستترين باسم السلطان الحفصي أو السلطان العثماني⁴.

¹ علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، ط3، المكتب الإسلامي بيروت، 1992م، ص 40-41

² نيقولاوي ايفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية، تر: يوسف عطاء الله، تق: مسعود طاهر، ط1، دار الفرابي، بيروت، 1988م، ص 95

³ محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس، المرجع السابق، ص 177

⁴ نيقولاوي ايفانوف، المرجع السابق، ص 95

حيث كان الكثير من البحارة الأتراك يجوبون البحر بمبادرة فردية مستقلين بأنفسهم ينقلون الأسلحة إلى الأندلس أو مدافعين عن موانئ شمال إفريقيا ضد الغزاة الأوروبيون¹.

وقد إشتهر البحارة الأتراك بين الأهالي في غرب البحر المتوسط سواء في شمال إفريقيا أو في الأندلس قبل التدخل العثماني الرسمي لدعم مسلمي الأندلس ومن الأسماء التركية التي لمعت قبل وصول آل بربروس إلى غرب البحر المتوسط: براق رئيس، وسانان رئيس، وبيري رئيس....²

وأقام العثمانيون علاقات وثيقة مع مسلمي إسبانيا وكان الأندلسيين أكثر الخلفاء وفاء عند العثمانيين في غرب العالم الإسلامي إذ رأو في العثمانيين حاميه الوحيد من ظلم الحكام الإقطاعيين وقبائل البدو وتحول بعض الرياس العثمانيين إلى أبطال شعبيين حقيقيين مدافعين عن الشريعة الحقة، فكانو يستقبلون بحرارة في موانئ المغرب حيث اعتادوا على قضاء فصل الشتاء لإصلاح سفنهم وبيع غنائمهم وتعويضاً خسائرهم البشرية³.

لذا فقد كان هؤلاء المغامرون يعتبرون في نظر المسلمين أبطالاً وطنيين وفي نظر خصومهم قراصنة، بحار لا يخضعون لأي قانون أو نظام⁴.

وقد تعود هؤلاء الغزاة على استعانة بالمسلمين الأندلسيين الذين أجبرو على تغيير دينهم حيث كانوا يمدونهم بالمعلومات ليقوموا بهجماتهم على السواحل الإسبانية، مما دفع سكان الموانئ الإسبانية إلى رفع شكوى إلى الملكة إيزابيلا معلنين أنهم لم يعد في

¹ محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس، المرجع السابق، ص 178

² محمد دراج، المرجع نفسه، ص 177-178

³ نقولاي ايفانوف، المرجع السابق، ص 95-96

⁴ صلاح العقاد، المغرب العربي في تاريخ الحديث والمعاصر الجزائر وتونس المغرب الأقصى، ط6، مكتبة الأنجلو

المصرية، مصر، 1993، ص 18

مقدورهم دفع ضرائب إذ لم يعد بإمكانهم ممارسة التجارة مع الخارج أو زراعة أراضيهم بفعل غارات البحارة الأتراك¹.

وكانت القواعد الرئيسية للقراصنة العثمانيين ممتدة على طول الساحل الشمالي الإفريقي كطرابلس وجربة وبجاية الجزائر وتونس وهران والمرسى الكبير².

¹ محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الأخوة بريروس، المرجع السابق، ص 179

² نقولاي ايفانوف، المرجع السابق، ص 96

المبحث الثالث. ظهور الإخوة بربروس في سواحل شمال افريقيا

لم تكن القرصنة في غرب المتوسط بالشيء الجديد منذ قرون عديدة كان المسلمون وكان المسيحيون يقومون بأعمال القرصنة في البحر فإن القرصنة المسيحيين كان عددهم كبيرا جدا خلال القرنين 15 و16م بالبحر المتوسط، ثم خفت وطأة القرصنة المسيحية لكن القرصنة الإسلامية إزدادت ضراوة الشمال الافريقي، بعد إبعاد مسلمي إسبانيا وإضطرابهم إلى الالتجاء لشمال إفريقيا¹.

ولقد كانت شواطئ المغرب بطبيعتها الوعرة وثورها ومراسيها وخلجانها الكثيرة التي تحميها الصخور العالية أصلح ملاذ لمشاريع أولئك البحارة المجاهدين، وكانت مياه الجزائر وبجاية وتونس أفضل قواعدهم للرسو والاقلاع، وكانت غاراتهم على الشواطئ الإسبانية ولاسيما المياه الجنوبية تجدد بلا انقطاع، وتتجح في معظم الأحيان في تحقيق غاياتها وكان حكام الشعوب المغربية من تونس الى وهران يشجعون هذه الغارات ويسمحون للمجاهدين بالرسو والتموين في ثغورهم².

وكان عروج من أكبر هؤلاء القرصنة الذين سوف يربطون المغرب بالامبراطورية العثمانية لمدة تقرب من ثلاثة قرون³.

فإستطاع أن يكون أسطولا صغيرا من بضعة سفن يغزو به في البحر وساعدته الأقدار بالنصر والمغانم وألقته الرياح إلى جزيرة جربة فحط بها بعض ائقاله وأتى لتونس وسلطانها يومئذ ابو عبد الله محمد بن الحسن الحفصي 932-989هـ، فهاده بحتف مماغنم وحسان من الجواري، فوقع ذلك من السلطان موقعا حسنا واستأذن في الإقامة بأسطوله في بعض مراسي المملكة، فأذن له على شرط ان يدفع إليه الخمس مما يغنمه،

¹ احمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص75

² بسام العسلي، خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص81

³ صالح عباد، المرجع السابق، ص43

فرضي عروج بذلك، فإختار جزيرة جربة واتخذها قاعدة لأسطوله ومراكبه البحرية، أما سبب اختيار هذه الجزيرة فيعود لقربها من الاراضي المسيحية كصقلية ومالطا والجنوب الإيطالي¹.

وبعد إستقرار عروج بجزيرة جربة لحق به أخواه خير الدين واسحاق وأصبح لديهم حوالي اثنتي عشر سفينة، ولما كانت جربة بعيدة عن ميدان الجهاد الحقيقي في الحوض الغربي للبحر المتوسط، نقلوا مركزهم العسكري إلى حلق الوادي في أقصى شمال تونس². وكما سلف أن أشرنا أن البحارة الأتراك لم يكونو مجهولين لدى أهالي شمال افريقيا، فقد شاعت شهرتهم بين أهالي الجزائر، ليس بسبب الغزوات المظفرة التي كانا يقومان بها ضد السواحل والسفن الاوروبية فحسب بل لأنهم كانوا كغيرهم من البحارة الاتراك يرسون في الموانئ الجزائرية لبيع غنائمهم وإصلاح سفنهم، وتعويض خسائرهم البشرية فعروج كان كغيره من الاتراك كثيرا ما يتصل بالشخصيات الدينية المحلية ومن ذلك فإنه قابل الشيخ الولي أحمد بن يوسف الملياني الراشدي في شرق وهران، وهذا يعني أن عروج كان على صلة بالمنطقة قبل استقراره بها بعد اتخاذه جزيرة جربة قاعدة لعملياته³.

وبناء على ما سبق فإنه من الطبيعي أن يكون الأخوة بربروس على علم بالخصائص الجغرافية والسياسية للمنطقة، ومن ثم فإنه يمكن اعتبار ظهورهم لم يكن سوى مرحلة لاحقة من مراحل الإتصال التركي والعثماني بمنطقة الشمال الافريقي⁴.

فظهور آل بربروس في غرب البحر المتوسط، اختلف كليا عن ظهور غيرهم من الاتراك الذين سبقوهم، سواء بالنظر إلى سبب المجيء أو بالنظر إلى النتائج الباهرة التي ترتبت عن ذلك

¹ جميل عائشة، المرجع السابق، 29-30

² يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص11

³ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة بربروس، (1512-1513م)، المرجع السابق، ص11

⁴ ابو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1984، ص131-132

فمنذ جلوس سليم على عرش السلطة وقيامه بقمع أي حركة معارضة له، وتضييقه على أتباع وأنصار الشهزادة قرقود، يرجع أن عروج وأخاه خير الدين لم يكونا يتطلعان إلى تأسيس دولة في شمال إفريقيا، بل غاية ما يطمعان إليه هو قيام بواجب الجهاد ضد القراصنة الأوروبيين في شرق البحر المتوسط¹.

والمعروف أن مناطق البحر المتوسط بخاصة سواحل إفريقيا الشمالية كانت تمر بوضع متوتر بعد احتلال الأسبان لأجزاء كبيرة منها، وكان الأسبان بعد انهائهم الحكم العربي الإسلامي وسيطرتهم على جميع انحاءها، قد أزاحو من أمامهم كل قوة تحول دون نزولهم إلى الساحل الإفريقي الشمالي².

بالإضافة إلى طردهم للأندلسيين من بلادهم بواسطة الإضطهاد³ فقد كانت بلاد المغرب العربي أثناء هذه الأحداث سيئة جدا، فعلاوة على عوامل الضعف والانحطاط التي عمت البلاد الإسلامية كلها، ونال المغرب العربي حظه من التدهور بسبب ضعف الملوك وتنمر القبائل العربية التي كانت تتمتع بشبه استقلال في اقطاعاتها⁴.

فكان التعصب الديني والرغبة في نشر المسيحية وكذلك الرغبة في زحزحة حدود الإسلام يدفع الإسبان منذ أواخر القرن الخامس عشر وطوال القرن السادس عشر إلى التدخل في البلاد الإسلامية بشمال إفريقيا⁵.

فسقوط غرناطة سنة 1492م، قد عجل بانطلاق الطاقات الإسبانية نحو مغامرات ما وراء البحار، وقد كانت إفريقيا على قربها الشديد الاختيار المنطقي الأول في هذه

¹ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر...، المرجع السابق، ص186

² فاضل بيات، المرجع السابق، ص530

³ حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تح: محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص107

⁴ احمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص15

⁵ حنيفي هلايلي، بابا عروج وبدايات تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة، ص2

الاستراتيجية، وفي الوقت نفسه فإن هجرة الموريسكيين¹، قد خلقت التزام ووفرت سببا لتعليل التدخل الإسباني².

رافق هذا الرخم من الأحداث تفتت الأنظمة السياسية في المغرب العربي وتخلفها عن ركب الحضارة التي صارت أكثر ارتباطا بأوروبا، حيث شهدت بلدان المغرب قيام أنظمة اقطاعية غالبا ما كانت في صراعات مع بعضها البعض³.

ولعل النتائج التي انتهت إليها تطورات الأحداث في الدولة العمانية والاضطهاد الديني الذي كان يعيشه المسلمون في الأندلس بعد سقوط غرناطة بالإضافة إلى الإحتلال الإسباني لسواحل شمال افريقيا، خصوصا الجزائر، التي كانت خالية من أي قوة اسلامية، يمكنها أن تحمل مسؤولية الدفاع عن المسلمين وتحرير البلاد من الإحتلال الإسباني، إضافة إلى ما تحقق على أيديهم من انتصارات عظيمة على الإسبان دفعتهم إلى التفكير بشكل جدي في تطوير مشروعهم ليتحول إلى تأسيس دولة حقيقية تكون تابعة للدولة العثمانية⁴.

بدأ عروج نشاطه في غرب المتوسط سنة 1510م وهو يمتلك حين ذاك نحو 12 سفينة بعدما فتح له الامير الحفصي موانئ تونس واتخذ عروج من بعض الجزر الساحلية قواعد لأسطوله⁵.

وبعد استقرار الأخوين عروج وخير الدين في جربة شرعا في سنة 1512م في شن غارات كبيرة على مختلف السواحل والموانئ الأوروبية الغربية وجزرها مثل سردينيا ونابولي بالإضافة إلى تعرضها للسفن الأوروبية التي كانت تجوب البحر المتوسط محملة

¹ الموريسكيون: هي تسمية التي اطلقها الإسبان على المسلمين المتبقين في شبه الجزيرة الايبيرية بعد سقوط غرناطة واصبحت متداولة بين المؤرخين (أنظر: جمال يحيى، المرجع السابق، ص 17)

² ويليام سبنسر، المرجع السابق، ص 34

³ سامية مبروك، المرجع السابق، ص 13

⁴ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة بربروس، المرجع السابق، ص 186-187

⁵ صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 19

بالبضائع أو الجنود، فغنما من ذلك غنائم هائلة فقدموا بها إلى جزيرة جربة ودفع الخمس إلى السلطان، وذاع صيتهما في كل سواحل غرب البحر المتوسط، وأثار موجة من الرعب فيها¹.

شرع عروج في أعمال القرصنة في سواحل أوروبا الجنوبية وسواحل صقلية وجنوب إيطاليا خاصة، كما شارك في نقل المسلمين الفارين من شبه الجزيرة الأيبيرية، فاستولى على سفينتان في الحوض الغربي للبحر المتوسط في جزيرة ألبا، وسفينة إسبانية، استولى عليها وعلى متنها عدد كبير من الجنود والنبلاء².

كما مكنته أعمال القرصنة هذه من أن يكون أسطولا سنة 1509م حوالي ثمانين قطع، هذا بالإضافة إلى سفن أخرى كان يقودها قراصنة آخرون جاءو بدورهم إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط، وانظموا إليه³.

قررت إسبانيا إرسال أسطول كبير مكون من 10 سفن للقضاء على الإخوة بربروس ومن معهم من الأتراك، ولكن قبل وصول السفن الإسبانية كان البحاران التركيان قد توجهوا إلى جنوة للاغارة عليها، غير أن مخالفة الرياح أجبرتهما على اللجوء إلى سواحل بجاية الجزائرية⁴.

¹ محمد دراج، مذكرات خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص 47-49

² صالح عباد، المرجع السابق، ص 43-44

³ المرجع نفسه، ص 44

⁴ محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس، المرجع السابق، ص 188-189

الفصل الثاني:

دخول الاخوة بربروس إلى الجزائر

المبحث الأول: الظروف العامة وأسباب الدخول

1-الظروف العامة

2-تحرير الموانئ والمدن

المبحث الثاني: تولي خير الدين حكم البلاد

المبحث الثالث: دور خير الدين في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر

1-التصدي للحملات الاسبانية على الجزائر سنتي 1519-1520

2-بسط النفوذ العثماني في الجزائر والقضاء على حركات التتمر

3-تدمير حصن البنيون وأثره في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر 1529م

المبحث الأول: الظروف العامة وأسباب الدخول

1-الظروف العامة:

حين تعرض الجزائر للاحتلال الاسباني كان الوضع السياسي في للدولة العثماني أثناء حكم السلطان أحمد الأول دقيقا وصعبا جدا، حيث عرفت الدولة مشاكل عديدة داخليا وخارجيا: كما تكبدت هزائم بحرية كثيرة منها مع النمسا وبلاد فارس...، إضافة إلى ظهور بوادر تمرد وعصيان في كثير من الولايات العثمانية، هذه الظروف ساهمت في إنشغال العثمانيين عن قضية مسلمي الاندلس هذا من جهة، ومن جهة ثانية فقد كان القسم الغربي للبحر المتوسط مسرحا للانتصارات أحرزها الإخوة بربروس هؤلاء البحارة وضعوا أنفسهم في خدمة الخلافة العثمانية¹.

وتعود بداية تشكيل الاسطول البحري عندما كان عروج أسيرا في سفن النصارى، حيث تذوق مرارة الأسر وأخذ الخبرة الحربية في السفن البحرية ثم فر منها واتخذ من جزيرة جربة قاعدة بحرية له وكون السفن فيها قوة بحرية جمع فيها متطوعين وذوي الخبرة البحرية، وأعد السفن وباشر نشاطه الجهادي، وسرعان ما اشتهر اسمه بعد الانتصارات الباهرة ضد الإسبان، سواء بالهجمات المباشرة أو بالغارات المتتالية، هذا ما أعطى عروج والاخوة بربروس سمعة وجاها وشأنا في نفوس المسلمين لما اشتهروا به من قرصنة السفن من جهة، وتأمين هجرة المسلمين النازحين من الاندلس إلى شمال افريقيا من جهة ثانية².

¹ جمال بوزيد، مشروعية الجهاد البحري للأسطول الجزائري في العهد العثماني(1519-1830)، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تاريخ الوطن العربي المعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018-2019، ص16،

² يحي جلال، تاريخ المغرب العربي، ج3، د: ط، دار النهضة للطبع والنشر، بيروت، 1981م، ص 6

أخذت انتصارات الاخوة بربروس تعلوا ووصلت انتصاراتهم مسامع سكان الجزائر، لذلك وبسرعة اتصل علماء أعيان المدينة ومعهم الامير الحفصي ابو بكر من العام نفسه واستصرخوهم لنجدتهم لإنقاذ المدينتين من الاحتلال الاسباني¹.

وعلى اثر ذلك قام خير الدين وعروج بجمع رجالهما وتشاوروا في الامر وقرروا في الختام تلبية نداء الاستغاثة، وتوجه العثمانيون المنقذون بقيادة الإخوة بربروس إلى الجزائر رغبة في الجهاد من جهة، ورغبة أخرى في مواجهتهم للإسبان وطردهم من سواحل شمال إفريقيا من جهة ثانية، والقضاء على الفوضى التي كانت تتخبط فيها البلاد من جهة².

2- تحرير المدن والموانئ:

أ- تحرير بجاية 1512م

مر تحرير بجاية بعدة محاولات قام بها العثمانيون لفعل ذلك، أولهما كانت على يد عروج وخير الدين، فبعدة اتساع نشاطهما في البحر المتوسط والانتصارات التي حققها على السفن المسيحية وكذلك انقاذ آلاف من مضطهدي الاندلس، والأساطيل التي تعرضت لها الأساطيل الأوروبية³.

تلقى الرياس بقيادة عروج وخير الدين أول اتصال من الجزائر سنة 1512م حيث طلب سكان أهالي بجاية مساعدتهم على إخراج الإسبان واستعادة مدينتهم التي أفسدوها، وكانوا قد احتلوها منذ عام 1510م، هذه النقطة ستحدث نقلة نوعية من تاريخ المنطقة،

¹ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص10

² احمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص148

³ عائشة جميل، المرجع السابق، ص30

ففي شهر أوت 1512م قبل الإخوة بربروس طلب أعيان بجاية ودخلوها على رأس 12 سفينة محملة بالمدفعية والذخيرة و1000 جندي من الاتراك وبعض من الاهالي¹.

وعند وصولهم إلى سواحل بجاية راو أنه من المستحيل مجابهة الأسطول الإسباني المتفوق عليهم في عدد الجنود والسلاح، فقام الرياس بتنفيذ مناورة حربية متظاهرين بالابتعاد عن بجاية فقامت القوات الاسبانية بمطاردتهم وعندما رأو القطع في مجال مدفيعتهم قصفوها² وتمكنوا من إغراق سفينتين واستولو على عدد من السفن أثناء المعركة كما قامو بقصف قلعة بيدرونافارو، وحاصروا المدينة لمدة 9 ايام، ولكن إنقاذ بجاية لم يتم بسبب إصابة عروج في ذراعه³ فإضطر خير الدين إلى إعادته لتونس وهناك قطع ذراعه بعد أن فشل علاجه⁴.

ثم أعاد الهجوم في اوت 1514م، بعد أن حرر جيجل وسنتطرق لموضوع تحرير جيجل فيما بعد حيث أنه انطلق من قاعدته الجديدة متجها إلى بجاية وهو يقود جيش لحصار بجاية، واشتبك مع حمايتها وكان يطمع في القضاء على الوجود الإسباني والاتجاه نحو مدينة الجزائر، استمرت عملية الحصار لكنه ادرك صعوبة دخول المدينة، فقرر العودة إلى جيجل وقضاء فصل الشتاء وإكمال الاستعدادات⁵.

وفي سنة 1515م تلقى عروج طلب مساعدة من أعيان بجاية للقضاء على المسيحيين، فلبى النداء، وانطلق الى جيجل وأنزل قواته في واد الصومام وقام بإنزال المدفعية برا ودخل قسم من جنوده إلى ميناء بجاية، وسيطرو عليه وانضم اليه عدد من

¹ صالح عباد، المرجع السابق، ص44

² بسام العسلي، خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص84

³ صالح عباد، المرجع السابق، ص44

⁴ محمد خير الدين فارس، المرجع السابق، ص24

⁵ كليل صالح، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الاوسط، رسالة ليل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة 2006-2007،

الأهالي، وقام بقصف الحصن لعدة أيام حتى سقط، وهاجموا القلعة وأسروا الكثير من الأسرى، وبعد حصار دام 3 أشهر نفذت الذخيرة فانسحب المتطوعون بعد حصولهم على الغنائم، ورفض السلطان الحفصي دعمهم بالذخيرة، وقدوم المدد من إسبانيا ووصول فصل الشتاء.... كلها ظروف وقفت في وجه عروج في مواصلة مشواره، فاضطر إلى مغادرتها وترك القلعة وحرق السفن كي لا تبقى غنيمة في يد الأعداء، وعاد إلى جيجل مشيا على الأقدام بعد أن خسر جزء كبير من جيشه، "... فقال لنفسه: (هناك تركت ذراعي، وها أنا سأترك قلعتي أيضا، والله لن أعود حتى أخذها)...¹.

ولم ينجح عروج ومن معه من الرياس في فتح بجاية، التي بقيت في يد الإسبانين إلى غاية 1555م، حين تمكن صالح ريس بالتعاون مع الأهالي لتحريرها من يدي المسيحيين².

ب- تحرير جيجل 1512م

قرر عروج البحث عن مركز مناسب لهم لأن تمركز الجنود خلف الوادي يبعدهم عن مساحة المعركة ولا يساعد على النصر ضد الإسبان، فوجدوا أن أقرب وأحسن مكان لهم هي جيجل، وكانت هذه الأخيرة محتلة من طرف الجنوبيين منذ 1260م، فكانت مركز للتبادل التجاري.

طلب أهالي جيجل من عروج تحرير مدينتهم فلبى طلبهم وهاجم القلعة سنة 1514، فتمكن من القضاء على حاميتها الجنوبية تاركا بها 50 جنديا و3 سفن من أجل الحماية¹.

¹ عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص48

² بسام العسلي، الجزائر والحملات الصليبية (1547-1791م)، ط1- ط2، دار النفائس، بيروت، 1980-

1986، ص77

استقر عروج في جيجل فلقب بالسلطان، ولكي يكون قريبا من سكانها لم يفرض عليهم آتاوة بل كان كريما فقام بتوزيع حصصا من غنائم القرصنة أما خير الدين فاستأنف الحركة متوجها إلى تونس².

وتمكن عروج من تحقيق هدف مزدوج فقد استطاع تحرير أول مدينة ساحلية إسلامية وحصل أيضا علا قاعدة صلبة ومأمونة -برية بحرية- يمكن له الانطلاق منها لتطوير أعماله القتالية، وهكذا استقر عروج في جيجل وبدأ في العمل على تحصين قاعدته الجديدة بمساعدة ابن القاضي وقبيلة زواوة³.

ج- بداية العلاقة مع الدولة العثمانية 1514م

كانت بداية العلاقة مع الدولة العثمانية مرتبطة بعدة عوامل أهمها رابطة الدين التي كانت تمثل عاملا هاما في الصراع بين المسيحية بقيادة الإسبان والعالم الإسلامي بزعامة الدولة العثمانية، بالإضافة إلى عامل أساسي آخر لعب دورا أساسيا في التقريب بين كل من الدولة العثمانية والأتراك الذين كانوا يمهدون الطريق للوجود العثماني في شمال افريقيا هذا العامل هو اشتراكهما في محاربة عدو واحد.

ومن جهة ثانية فإن عروج وخير الدين كانا يدركان أنه ليست باستطاعتها بإمكانياتهم الذاتية التصدي لدولة قوية مثل إسبانيا وتخليص مسلمي الأندلس وتحرير المدن التي يحتلوها في شمال افريقيا الا بدعم دولة قوية مثل الدولة العثمانية⁴.

¹ كريمة مقراني، اشكالية الوجود العثماني في الجزائر من خلال المراجع الجزائرية، 1519-1830، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تاريخ الجزائر الحديث، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2020-2021، ص 20-21

² شارل نيرو، تاريخ جيجلي، تع: عبد الحميد سرحان، د:ط دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص 89

³ كليل صالح، المرجع السابق، ص 89

⁴ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر....، المرجع السابق، ص 199-200

بالإضافة إلى عدم دعم السلطان الحفصي لهما وإمدادهما بالبارود، التي طلبها عروج اثناء حملته الثانية على بجاية، فتأكدت لهما الحاجة إلى مساندة الدولة العثمانية¹.

فقاما بإرسال وفد إلى مدينة اسطنبول لمقابلة السلطان العثماني سليم الاول فكان على رأس هذا الوفد بييري رئيس ابن اخت كمال رئيس، الذي كان السلطان بايزيد الثاني قد كلفه بالإغارة على سواحل اسبانيا حينما استغاث به مسلموا غرناطة، لقد كان الأخوان يريدان أن يقولوا من خلال الوفد الذي يرأسه بييري رئيس بأنهما يكملان مهمة كمال رئيس رغم أن ظروف المسلمين اليوم أكثر خطورة مما كانت عليه حينما كانوا محاصرين خلف أسوار غرناطة².

غادر بييري رئيس تونس في 6 قطع بحريه محملة بالهدايا إلى اسطنبول³ ورسالة عرضوا فيها أوضاع المغرب، كما أخبروه بالصعوبات التي تواجههم من أجل إنقاذ مسلمي الأندلس⁴.

حيث استقبل الوفد بحفاوة بالغة، وسلم للسلطان الرسالة والهدايا التي بعثها إليه الإخوة بربروس⁵، تقبل السلطان هذه الهدية الرمزية قبولا حسنا وقرر ان يمد يد العون لهذين المجاهدين في سبيل الاسلام وجاءت هدية السلطان إلى البطلين التركييين ردا على هديتهما التي كانت تشل 14 سفينة قرصنة تحمل رجالا من أشداء المقاتلين⁶، وأيضا كإفهما بسفينتين محملتين بمختلف المعدات الضخمة وكميات من الاسلحة، بالإضافة إلى سيفين قد حليت قبضة كل منهما بالألماس، وخلعتين سلطانيتين، بالإضافة إلى

¹ عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص48

² محمد دراج، محاضرات في تأسيس ايلالة جزائرية، جامعة الجزائر، ص26

³ محمد دراج، مذكرات خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص64

⁴ جميل عائشة، المرجع السابق، ص32

⁵ المرجع نفسه، ص32

⁶ محمد دراج، تأسيس ايلالة الجزائر، المرجع السابق، ص27

رسالة للسلطان الحفصي يأمره بتنفيذ التعاليم الواردة فيها والتحذير من مخالفته، توجي بأن الإخوة بربروس قد أصبحوا في حماية السلطان العثماني منذ هذا التاريخ¹.

ويؤكد ذلك ما صرح به خير الدين نفسه في مذكراته في معرض تعليقه على موقف سلطان تونس من ذلك.

«لقد أدرك سلطان تونس بأننا لم نعد مجرد قرصنة بائسين مجردين من أية حماية بل فقد صرنا في خدمة وحماية السلطان العثماني المعظم»².

فكانت هذه المرة الأولى التي يتصل فيها عروج بالدولة العثمانية³.

وكان لهذا الاتصال أهميتان كبيرتان على مستقبل التواجد العثماني في شمال افريقيا:

الأولى: اعطاء الصبغة الرسمية للعلاقة بين الأخوين بربروس والدولة العثمانية وذلك من خلال الحماية التي قدمها السلطان لهما

الثانية: تحول العلاقة بين السلطان الحفصي والإخوة بربروس من دور الحليف المناصر إلى الخصم المناوئ حيث بدأ السلطان يهاجر بعدواته للأخوين بدافع الخوف على عرشه

فتجاوب السلطان سليم الأول مع الأخوين كان يمثل دفعة معنوية كبيرة تركت آثار إيجابية في نفوس خير الدين وعروج ومن معهم من البحارة الأتراك، فقد شعروا للمرة الأولى أنهم ليسوا لوحدهم في مواجهة الأسبان⁴.

¹ محمد دراج، المرجع نفسه، ص 27

² محمد دراج، مذكرات خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص 69

³ جميل عائشة، المرجع السابق، ص 32

⁴ محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر، المرجع السابق، ص 202-203

وهكذا بدأت العلاقات الودية الجهادية الهادفة بين الجانبين العثماني والجزائري¹.

د- عروج في مدينة الجزائر 1516م:

في سنة 1516 م وبعد موت فرينالد ملك إسبانيا اضطرب وضع المراكز الإسبانية وبدأ سكان الموانئ الخاضعة لإسبانيا يفكرون بالقرصنة للتحرك فأسرع سكان مدينة الجزائر بواسطة رئيسهم سالم التومي بطلب النجدة من عروج لإنقاذهم من الإسبان².

فوافق عروج واتجه إلى مدينة الجزائر ومعه 5 الاف شخص من القبائل وذهب مباشرة إلى شرشال فحررها ووضع فيها حامية لحراستها واستقبل عروج في مدينة الجزائر استقبال المحررين³.

طلب عروج من قائد الحامية الإسبانية بالانسحاب من قلعة البنيون وتسليمها إليه فرفض وذكره بذراعه، فقام بقصف القلعة 20 يوما ولكنه فشل في طرد الإسبان بسبب ضعف مدافعه وانقلب الأهالي عليه متفقين مع الإسبان، حيث سعى سالم التومي لتنظيم المكائد باستغاثة للإسبان لطردهم بسبب تخوفه من اصرار عروج على النصر لكن هذا الاخير قام بالقضاء عليه في ظروف غامضة⁴.

وفي شهر سبتمبر 1516م قام اسطول الدون دييغو ديفيرا بالهجوم على مدينة الجزائر لكن الإسبان انهزمت أمام عروج، فقد تمكن في 4 اكتوبر 1516م في معركة على نهر وادي الحراش من اباداة 3الاف جندي اسباني فقتل أغلبهم ووقع الكثير منهم في

¹ احمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص172

² محمد خير الدين فارس، المرجع السابق، ص25

³ عزيز سامح التري، المرجع السابق، ص51

⁴ كريمة مقراني، المرجع السابق، ص 21-22

الاسر أما ديبغو ديفيرا قد نجى من الموت ثم تم تدعيم عروج والاعتراف به زعيما للجهاد¹.

رأى عروج ان يقسم المملكة الجديدة إداريا إلى مقاطعتين: مقاطعة شرقية يشرف عليها خير الدين ومقرها الاداري مدينة دلس ومقاطعة غربية يشرف عليها عروج نفسه ومقرها الاداري الجزائر العاصمة، وغادر خير الدين تنس بعد ان فتحها دون مقاومة تذكر².

أما صاحب كتاب "الزهرة النيرة" يذكر أن عروج اتجه إلى مدينة الجزائر على ظهر سفينتين وأرسل إليه أخوه خير الدين مائتين وثمانون رجلا، كما يذكر أن عروج قبل خروجه إلى تنس لقتال حاكمها استفتى علماء المدينة فأفتوه بإباحة دمه ودم من معه من المفسدين، وفي طريقه انضم إليه سكان مدينة متيجة، مليانة، المدية، الشلف وجزء من جبال الظهرة والونشريس وقد تمكن من اخضاعها في جوان 1517 بعدما تخلص من حاكمها الموالي الإسباني³.

ه-تحرير تنس 1518م

كانت مدينة تنس تحكم من قبل بني زيان، وكان عروج يرغب في أن يضمها إلى نفوذه، فتوجه لها أخوه خير الدين، وبعد أن وصل إلى المدينة نزل من البر ب1500 جندي وعسكر قبال القلعة، واكتشف أن الإسبان قد غادروا القلعة مع أمير تنس هاربين، وبعد فترة جعل خير الدين أحد الضباط نائباً على تنس متوجهاً إلى الجزائر، وبعدها رجع أمير تنس إليها واستولى عليها من جديد بمساعدة الإسبان، فغضب عروج وخرج إليه بنفسه، وعند اقترابه منها قام أهالي تنس بتقييد الأمير وتسليمه إلى عروج فقتله فوراً،

¹ احمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص185-186

² المرجع نفسه، ص186

³ محمد بن محمد بن عبد الرحمان الجليلي بن رقية التلمساني، الزهرة النائرة في ما جرى في الجزائر حين اغار عليها جنود الكفرة، تع: خير الدين سعدي الجزائري، ط1، اوراق ثقافية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017م، ص83

وهكذا انضمت المدينة الى نفوذه بدون أية معارك تذكر، فقام عروج بتحرير القلاع والمدن الجزائرية تباعا مثل شرشال، مستغانم، الجزائر وتيس¹.

و- عروج في مدينة تلمسان 1518م

في ذلك الوقت كانت تلمسان مسرحا للتنافس على الحكم بين أفراد البيت الزياني، بين ابو حمو الثالث² الذي استتجد بالإسبان لإيصاله للحكم وبين ابن أخيه أبو زيان المسعود الذي طلب من عروج النجدة وواثق البلاد من الاسبان وفور وصول عروج الى تلمسان اتخذ قلعة بني راشد قاعدة لحماية خطوط مواصلاته حيث وقع فيها حامية وكلف مقاتليه بتنفيذ عمليات صغرى لإزعاج الاسبانيين في وهران³.

وصل الجيش الجزائري إلى سهل أربال حيث كان أبو حمو الثالث قد أقام معسكره هناك ونظم قواته التي ضمت ثلاثة آلاف رجل من المشاة و6 آلاف فارس، غير أن هذه القوة على ضخامة حجمها لم تصمد أمام جيش عروج، ثم تقدم عروج ووصل إلى تلمسان، حيث استقبل بفرح كبير⁴.

وبعد الاستيلاء على تلمسان قام عروج بعزل آل عبد الواد أما أبو زيان فقبض عليه مع اولاده وبعض الأمراء وشنقوا جميعا⁵.

بقي عروج تقريبا سنة في تلمسان أقام خلالها التحصينات حيث أخضع قبائل بني سناس، وقام بمفاوضات مع ملك فاس في حين تمت السيطرة على قلعة بني راشد بواسطة

¹ حنفي هلايلي، المرجع السابق، ص 66-65

² يدعى ابوحمو الثاني ابو قلمون في ايامه قويت شوكة العثمانيين ضد الاسبان حتى استولوا على مدينة تلمسان(انظر: عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2003م، ص 239

³ كريمة مقراني، المرجع السابق، ص 22-23

⁴ بسام العسلي، المرجع السابق، ص 102-103

⁵ نيقولايفانوف، المرجع السابق، ص 103

أبو حمو والإسبان فحاصروا تلمسان وتمكنوا من اقتحامها بعد ستة أشهر من الحصار أما عروج فتسلل إلى القلعة لكنه انسحب منها فلاحقه أعدائه وقتلوه قرب الحدود المغربية¹.

بينما تذكرت رواية أخرى أنه قتل بالمالح الواقعة بين وهران وعين تيموشنت الحالية، وقد قاتل الإسبان ولم يعفه في ذلك فقدان ذراعه إلى أن استشهد حيث اغمد سيف في قلب البحار الكبير، وفصل رأسه عن جسده وأرسل إلى إسبانيا، وبقي جسده في الجزائر في منطقة قريبة من فاس² وبمقتل عروج أعيد أبو حمو الثاني إلى عرش تلمسان³.

ز- تقويم جهود عروج في التمهيد للدخول العثماني الى الجزائر:

بالرغم من قصر الفترة التي قضاها عروج في نضاله لتحرير الجزائر من الاحتلال الإسباني وتوطئة الطريق لبسط النفوذ التركي فيها، إلا أن ما حققه خلال فترة قصيرة لا تزيد عن ست سنوات (1512-1518) تجعل المرء يندهش لضخامة هذه الانجازات التي تحتاج فعلا إلى سنوات طويل، فبالرغم من كون عروج بدأ نضاله مع أخيه دون أن تكون لهما أي قوة قبلية أو سياسية تسندهما⁴، إلا أنه استطاع بفضل حزمه وقوة ارادته وطموحه السياسي أن يحسن إستغلال الفراغ السياسي الذي شهدته الجزائر، ليؤسس دولة قوية شملت في بدايتها توحيد الجغرافيا السياسية من جديد من جيجل شرقا إلى مستغانم غربا ومن البحر شمالا إلى المدية جنوبا⁵.

ونجح في توجيه ضربة توقف للنفوذ الإسباني وفي اضعاف الأسرة الزيانية، فتمكن بذلك من رسم الطريق لخلفائه من بعده لإقامة نظام سياسي جديد في المغرب الاوسط،

¹ صالح عباد، المرجع السابق، ص 48

² يرجع سبب فشل عروج في هذه المعركة انه كان ينتظر الدعم من الامير الوطاسي الا انه لم يوليه اي اهتمام وقلة الجنود والعتاد (للمزيد حول مجريات المعركة، انظر: محمد دادة، المرجع السابق، ص 194-195)

³ جميل عائشة، المرجع السابق، ص 39

⁴ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر....، المرجع السابق، ص 222

⁵ حنيفي هلايلي، محاضرات بابا عروج، وبدايات تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة، المرجع السابق، ص 12

وأصبح سيدا على الشاطئ الإفريقي حيث عمل مستقلا معتمدا على عبقريته الشخصية وعلى حفنة محدودة من الاعوان وبضع سفن في بيئة لم تعرف منذ زمن طويل الاستقرار السياسي والاقتصادي، يهددها خطر أجنبي كان يعتمد على قوى وامكانات أكبر بكثير من امكاناته¹.

وبفضل هذا البطل العظيم وما كان يتمتع به من خصال حربية ومدنية جعلته أسطورة في البحر، وأعجوبة في البر، وما كانت له من قدرة على التنظيم جعلته ينشئ دولة ذات قوة وذات شأن عظيم، قاومت فيما بعد أعاصير الزمن ما يزيد عن 3 قرون².

وبناء على ما سبق فقد كان الوجود التركي الذي وضع لبناته الأولى عروج، يمثل بداية النهاية الفعلية للدولة الزيانية والزعامات المحلية، والبداية الفعلية لإرساء مفهوم الدولة الواحدة الموحدة لدى الجزائريين.

فقد تمكن عروج من انهاء الاحتلال الإسباني من جيجل ودلس وتنس وشرشال ومستغانم ومعسكر وحاصرهم في وهران والمرسى الكبير وقلص وجودهم في المدن الساحلية³.

وهكذا انتهت حياة المغامر عروج الذي لعب دورا كبيرا في وضع الاسس الأولى لتكوين الايالة الجزائرية وجيشها، كما أن شجاعته وعبقريته العسكرية يشهد بها الاعداء فقد مدحه الراهب هايدو وذكر بأنه قاتل الاسبان رغم أنه يملك يد واحدة⁴، وأدى واجبه في الدفاع عن الاسلام والمسلمين حتى آخر نقطة من دمه⁵، وتمكن تقريبا من قتل

¹ محمد خير الدين فارس، المرجع السابق، ص 27-28

² احمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 193-194

³ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر...، المرجع السابق، ص 224-225

⁴ جميل عائشة، المرجع السابق، ص 41

⁵ بسام العسلي، خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص 106

100 إسباني قبل أن يسقط شهيدا¹، حيث قال خير الدين معبرا عن ألمه وحزنه لفقدان أخيه لو تمكنت من قتل جميع سكان بلاد الافرنج بالسيف لما استطعت استرداد تأثر أخي ورفاقه².

وهكذا يمكننا القول أن المشروع الضخم الذي كان عروج يقوم بإرساء أسسه، كان عرضه للانهييار لو لم يتابعه أخوه خير الدين بقوة ومهارة، تسنده الدولة العثمانية، التي لم يتسن لعروج الاستفادة من دعمها بسبب ظروف سياسة لم تكن مواتية له، وبسبب تسارع الاحداث السياسية المتلاحقة التي احتتمت بمأساة استشهاده مع رفاقه ليبدأ فصل جديد من تاريخ الوجود العثماني في الجزائر³.

¹ محمد دراج، مذكرات خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص92

² عزيز سامح التري، المرجع السابق، ص92

³ محمد دراج، الدخول العثماني...، المرجع السابق، ص226

المبحث الثاني: تولي خير الدين حكم البلاد

كان استشهاد عروج سنة 1518م قد صدم خير الدين لأنه وجد نفسه في موقف صعب للغاية نتيجة تشابك الظروف وعدم استقرار الأوضاع حيث كان يخشى ثورة المناطق المجاورة للجزائر-المدينة- عليه خاصة قبيلة سالم التومي التي كانت تتحين الفرصة المناسبة للإنتقام من العثمانيين بطردهم من الجزائر¹ فقرر المغادرة والالتحاق بالخلافة العثمانية في اسطنبول² لما علم سكان مدينة الجزائر بخبر مغادرته اجتمع العلماء والأعيان مطالبين إياه بالبقاء فرد عليهم وقال لهم « اني قد عزمت على سفر إلى حضرة السلطان وأمنت بلادكم من العدو بما تركت فيكم من المجاهدين ومن وصل اليكم من أهل الأندلس وما تركت عندكم من العدة لأنني تركت في بلادكم أكثر من 400 مدفع ولم يكن في بلادكم الا واحد³» فقالوا له: «يا أيها الأمير لا تطيب أنفسنا بفراقك ولا تسمح بذلك فالله وامة سيدنا محمد فإن الله يسألك عنهم» عندما رد عليه علماء الجزائر فقالوا له: «يا أيها الأمير يتعين جلوسك في هذه المدينة لأجل حراستنا من ضعفاء أهلها ولا رخصة لك في الذهاب عنهم وتركهم للعدو»⁴

فأجابهم خير الدين قائلاً «أنتم رأيتم ما وقع من الملاحين الكافرين ولا يؤمن من عواملهم وقد ظهر لي أن تصل يدنا بطاعة السلطان الأعظم مولانا السلطان سليم فيمدنا بالمال والرجال وما نحتاج إليه من آلة الجهاد ولا يكون ذلك بصرف الخطبة اليه وضرب السكة عليه»⁵

¹ نور الدين عبد القادر: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، الجزائر، نشر كلية الاداب الجزائرية، 1965، ص46

² جمال قنان: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830م، د:ط، دار الرائد للكتاب، الجزائر 2010 ص54

³ المرجع نفسه، ص54

⁵ جمال قنان، المرجع السابق، ص54

بناء على ذلك مما دفعه إلى تحرير رسالة بإسم أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان العثماني سليم الاول 1512-1520 يشرح فيها الأوضاع في الجزائر وخطر هجمات الإسبان وتدخلهم لنجدة الزعماء المحليين المواليين والرغبة الاكيدة لسكان الجزائر في الاعتماد على الدولة العثمانية كحامية للجزائريين¹.

قبل السلطان سليم الاول طلب الجزائريين دون تردد وعلى اثر هذا عين خير الدين باي لارباي كما أعطى له حق ضرب السكة أي أمير الأمراء²، وهكذا أصبح إقليم الجزائر أول إقليم في شمال إفريقيا تحت السيادة العثمانية وعمل الخليفة بعد ذلك مباشرة على ارسال دعم إلى الجزائر يتكون من قوة بحرية محملة بأربعة آلاف مقاتل من المتطوعين وكميات ضخمة من الاسلحة والذخائر والتجهيزات الحربية³.

فقام خير الدين بتنظيم الجيش الإنكشاري ورياس البحر وأصبحت مدينة الجزائر منذ هذا العصر من أهم مراكز الجهاد في البحر الأبيض المتوسط⁴.

وبفضل الدعم الذي قدمه السلطان العثماني الى الجزائر استكمل خير الدين أعمال أخيه عروج لتنظيم البلاد، وقام بتنظيم الجيش تنظيما عسكريا صارما قام ببناء ثكنات للجيش واسعة، وحسن الترتيب، وفرض اللباس العسكري المميز والمجهز بأسلحة متطورة، كما أخضعهم لنظام قضائي عسكري إلى جانب استكمال البناء للبحرية وتقويتها واستندت اليه محاربة القوى البحرية المسيحية في البحر المتوسط⁵.

¹ مؤيد محمود حمدا المشهداني، لوان رشيد رمضان، "اوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830م"، مجلة الدراسات التاريخية والحضاريةمجلة علمية محكمة، المجلد الخامس، العدد16، 2013م، ص 415-414

² مبارك محمد المليي، المرجع السابق، ص53

³ التميمي عبد الجليل، اول رسالة من اهالي الجزائر الى السلطان سليم الاول سنة 1519م، المجلة التاريخية المغربية، العدد6، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1976، ص116-120

⁴ جمال قنان، المرجع السابق، ص55

⁵ شارل اندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية - تونس - الجزائر - المغرب الاقصى من الفتح الاسلامي الى سنة1830، تع: محمد مزالي والبشير سلامة، ج2، ط2، الدار التونسية للنشر، ديم، 1985، ص334

كما قسم خير الدين البلاد الى قسمين قسم شرقي يشمل البلاد القبائلية الجبلية من شرق العاصمة الجزائرية الى حدود المملكة الحفصية التونسية ووضع على رأس هذا القسم أحمد بن القاضي¹، سلطان كوكو ببلاد زواوة وتع قرية كوكو على بعد 18 كيلو متر في الجنوب الشرقي من مدينة الاربعاء بني رانث².

أما القسم الغربي وهو ممتد من الجزائر إلى حدود دولة بني زيان الغير محدد بالضبط فقد وضع عليها السيد محمد بن علي وظن انه يستطيع ان يعتمد على الزعيمين المحليين لحكم البلاد مباشرة بيد أبنائها تاركا لمدينة الجزائر السلطة العليا وبأشر أمور الحرب والسياسة³.

كما أن الباب العالي قد جعل مدينة الجزائر في ذلك الوقت تحت حمايته ولكنه لم يعتبرها بعد ولاية من إحدى ولاياته، وهذا مايفسر غياب وساطته وتدخله - اي الياب العالي- عندما قام ابن القاضي باحتلال الجزائر لعدة سنوات "1520-1527م" فاختلف المؤرخون حول هذا الاحتلال فالبعض يقول خمس سنوات⁴.

وهذا الأخير الذي لقي الدعم من الدولة الحفصية فأعلن الثورة والإنفصال عن الدولة الجزائرية مضاعفا لمساعي الدولة الحفصية معتمدا على مددها ورجالها⁵.

¹ احمد ابن القاضي: هو من تولى القضاء في بجاية في عهد الحفصيين وقيل انه من اتصل بعروج وخير الدين من اجل انقاذ الجزائر وتبدلت مواقفه، واسس امارة كوكو وقاتل في بعض المعارك ضد خير الدين للمزيد من المعلومات) أنظر: مؤلف مجهول: سيرة المجاهد خير الدين بربروس في الجزائر، تحقيق وتقديم: عبد الله جمادي، د:ط، دار القصة،الجزائر،2009، ص104)

² احمد توفيق، المرجع السابق، ص211

³ المرجع نفسه، ص212

⁴ كورين شوفالبيه، الثلاثون السنة الاولى لقيام دولة مدينة الجزائر، تر: جمال حمادنة، د: ط ديوان المطبوعات

الجامعية، د:م،2007م، ص42

⁵ بلقاسم صديقي، "بدايات الوجود العثماني بالجزائر 1505-1519م"، مجلة مشكلات الحضارة، جامعة ابو قاسم سعد

الله،الجزائر، 2020، ص9

إلا أن السبب الحقيقي في عدم تدخل السلطان العثماني في خصم هذه الأحداث هو انشغاله في جبهات مختلفة من الامبراطورية حيث فتحت الدولة العثمانية بلغراد عام 1521 ورووس سنة 1522م¹.

¹ عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة - مؤسسها - سلسلة المشاريع الوطنية طبعة خاصة وزارة المجاهدين، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954،

المبحث الثالث: دور خير الدين في تثبيت الوجود العثماني في الجزائر

1-التصدي للحملات الإسبانية ضد الجزائر سنتي 1519-1520 م

فزعت إسبانيا لانضمام الجزائر إلى ممتلكات الدولة العثمانية لأن ذلك كان يعني بالنسبة لها وصول الخطر العثماني إلى سواحلها، فاغتنم شارلكان فرصة استشهاد عروج وما أحدثه ذلك من هزة عميقة في النفوس بعد انتصار الاسبانيين في تلمسان، فاتفق مع أبو حمو(ملك تلمسان) على أن يشترك الطرفان في توجيه الضربة الحاسمة للجزائر، وذلك بأن تقوم القوات الإسبانية بمهاجمتها بحرا، بينما تقوم القوات الزيانية من البر¹.

كانت الحملة الاسبانية تشمل 40 سفينة على متنها 5000 مقاتل بقيادة "هوجو دي منكاد" الذي كان نائبا على ملك صقلية، واشترك معه في القيادة كنائب له القائد الاسباني "كونز الفوماريبودي ريبيرا"² فانطلقت الحملة من مرسى جنوة في 17 اوت 1519م ونزل الجيش الإسباني في منطقة كدية الصابون³، أما خيرالدين وقواته التركية والمحلية رأوا أن يتركوا الإسبان ينزلون في المنطقة التي اختاروه تم يقومون بمحاصرتهم من كل جهة، فتصدى لهم خير الدين وجيشه مستغلين الاضطراب الذي أصاب الإسبان بسبب تأخر وصول قوات أبي حمو الزياني، والاختلاف الذي نشب بين قائد الحملة ونائبه حول الهجوم أو الإنتصار، وهاجم المواقع الإسبانية فجأة ففر الأعداء إلى مراكبهم وفي هذه الفترة هبت عاصفة بحرية دامت يومي 21-22 من شهر أوت فأعاقت عمليات الركوب⁴.

¹ بسام العسلي، خير الدين بربروس، المرجع السابق،ص109

² احمد توفيق المدني، المرجع السابق،ص205-206

³ بنو فوقها قلعة اطلق عليها قلعة الامبراطور (انظر: المرجع نفسه، ص207

⁴ عائشة جميل، المرجع السابق،ص35-54

حيث لم يتوقع الإسبان أن يقفوا على تلك المقاومة الكبيرة، لذا فقد حاولوا أن يعودوا أدرجهم إلى السفن، إلا أن هيجان البحر في تلك الفترة صعب عليهم الأمر¹.

وفي يوم 24 تمكن هوجودي منكاد بأن يركب مع بقية جنوده، لكن ما إن تحرك الأسطول حتى عادت العاصفة ودفعت الجزء الأكبر من مراكبه إلى الساحل فلم ينج منهم إلا العدد القليل من الجنود

لقد خسرت هذه الحملة 30 مركبا وفقدت ما يقارب 4 آلاف رجل من رجالها 3 آلاف منهم كانوا أسرى والبقية كانوا قتلى²، فانتهت الحملة بهزيمة كبيرة أجبرت الإسبان على الفرار مخلفين وراءهم آلاف الأسرى³، مما انعكس سلبا على نفسية الدون ديبغو، فقد قتل العديد منهم⁴.

بعد فشل الحملة الإسبانية الأولى على الجزائر، جهزت إسبانيا حملة أخرى سنة 1520م، مكونة من 110 قطعة بحرية، يقودها نائب الإمبراطور شارلكان على صقلية الأميرال فريناند، إلا أنها انتهت بهزيمة كبيرة عندما تعرض لها خير الدين بهجوم معاكس اثار الاضطراب في قيادة الأسطول الإسباني، وأسفرت العملية الفاشلة على أسر الأمير فريناند ومعه 36 قبطان و300 بحار إسباني، غير الآلاف من الأسرى والسفن التي أغرقت أو استولى عليها⁵.

¹ خير الدين سعيدي، الحملات الإسبانية على مدينة الجزائر خلال عامي 1518-1775، من خلال مخطوط الزهرة النائرة-لابن رقية التلمساني، مجلة دراسات وابحاث،المجلة العربية في العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة اسطنبول،العدد 29،2017م،ص96

² صالح عباد، صالح عباد المرجع السابق،ص50

³ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر....، المرجع السابق، ص242

⁴ زيارة سامية، المرجع السابق،ص55

⁵ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر....، المرجع السابق، ص243

2- بسط النفوذ العثماني في الجزائر والقضاء على حركات التمرد

بعد ارتباط الجزائر بالباب العالي وميلاد نظام البيلر باي وبعدهما تأكد خير الدين من قوة حليفته الدولة العثمانية تفرغ إلى تنضيم البلاد وترتيبها خاصة وأن الخطر الداخلي ما يزال يهدد إستقرار هذه الأخيرة¹ الذي قام بتقسيمها الى قسمين سابقنا الذكر².
غير أن المشاكل والفتن لم تنتهي فقد ثارت بعض القبائل ومنها قبائل كوكو على سلطة خير الدين وقامو بمهاجمة مدينة الجزائر، غير أن خير الدين إستطاع اخماد التمردات، كما كان تحالف عبد الله الزياني³ مع الاسبان يخيف خير الدين الامر الذي جعله يقوم بالإغارة على تلمسان وينزل بعبد الله على العرش الزياني ويؤلي مسعود ولاية العرش⁴.

وفي سنة 1520 استطاع خير الدين تحرير مدينة تنس وبينما هو يستعد لإخضاع تونس أصبح سلطانها يظهر العداء لخير الدين حتى ثار مسعود على خير الدين⁵ الذي أعد جيش لمحاصرة تلمسان ومستغانم⁶.
وهذه الأخيرة جهز لها خير الدين 28 جفنا يجمع ما يحتاج إليه من العدة والعدد وجهز حملة عظيمة في البر، فيها عسكر عظيم عازما على حصارها برا وبحرا فيسر الله فتحها من يد صاحب تلمسان مسعود⁸.

¹ علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط، ط1، دار التوزيع والنشر الاسلامي، مصر، 2001م ص 214

² احمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص211

³ عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ط2، دار الحياة للنشر والتوزيع، بيروت، 1965، ص222

⁴ عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص75

⁵ كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص42-43

⁶ مستغانم: مدينة قديمة تكرر ذكرها عند المؤرخ التنسي وغيره من المؤرخين والرحالة القدامى وهي واقعة على شاطئ البحر على بعد 90 كيلومترا شرق وهران بالغرب الجزائري وتكتب اليوم حون ياء بعد النون (أنظر: مؤلف مجهول،

سيرة خير الدين بربروس في الجزائر، دار القصبية، 2009، ص113

⁷ نفسه، ص113

⁸ نفسه، ص114

فلما استقر على ملك خير الدين خرج إليها موللنا عبد الله من وهران واستقر بها فسر سرورا عظيما وكانت الأجفان التي وجهها خير الدين إلى مستغانم لما حصل لهم الغرض من فتحها ذهبوا إلى بلاد الأندلس برسم ترحيل من رضى منهم إلى بلاد المسلمين فحملوا منهم إلى بلاد المسلمين وحملو منهم خلفا كثيرا ورجعوا بهم إلى الجزائر¹.

فلما فتح مستغانم ذهب إلى قلعة بني راشد² واستولى عليها واستخلصها من يد المسعود ثم توجه إلى تلمسان وحاصرها ما يقارب 20 يوما ثم دخل فيه مائتا جندي بواسطة السلاح، وفتح بابه وكان مسعود داخل القلعة فخرج بـ 200 فارس وهرب فنادى المنادون قائلين - ان الولاية للسلطان سليمان -³ ونصب عبد الله حاكما وفرض عليه ضريبة سنوية⁴.

سنة 1521 ثار ابن القاضي ببلاد القبائل الذي قام بالتحالف مع قارة حسن فقام خير الدين بمهاجمة ابن القاضي الذي انهزم أمام قوة خير الدين، ولجأ إلى سلطان تونس الذي تحالف معه للوقوف في وجه خير الدين، وقد استطاع ابن القاضي من خلال هذا

¹ هذه اشارة تاريخية هامة تؤكد وصول الكثير من الاندلسيين المعروفين باسم المورسكيين الى الجزائر واتخاذها موطن لهم والفضل يعود الى جهود خير الدين الكبيرة

² قلعة بني راشد: عرفت بهذا الاسم بالنسبة الى راشد بن محمد بطون مغرارة الذين استوطنوا الجبل المطل على تلمسان وبنوا هذه القلعة في القرن 16 (10هـ-16م)

³ (للمزيد انظر: نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ الجزائر من اقدم عصورها الى انتهاء العهد العثماني، كلية الاداب للنشر والتوزيع، مطبعة البعث، قسنطينة، 1995م، ص54)

⁴ عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ص47-48

التحالف من هزم خير الدين واحتلال مدينة الجزائر فاضطر إلى اللجوء إلى جبل أين أعاد بناء قوته لمواجهة الخارجين على طاعته فاستطاع سنة 1521 استعادة القل¹.

التي كانت محتلة من قبل قارة حسن كما استرجع عنابة³ سنة 1522 ومن أجل تعزيز قوته أكثر قام بالتحالف مع ابن العباس عدو ابن القاضي⁴.

وبعدما تأكد خير الدين من قوته قام بالهجوم على ابن القاضي، الذي كان قد استولى على المدينة الجزائر والتي استطاع استرجاعها سنة 1525، وإعدام ابن القاضي كما استطاع التخلص من تمرد الحسين شقيق ابن القاضي⁵.

لم يكد خير الدين ينتهي من ثورة ابن القاضي وقارة حسن وسلطان تلمسان حتى ثارت مدينة الجزائر مرة أخرى بتأثير دعاية مضادة للوجود العثماني قام بها بعض أتباع ابن القاضي من أعيان المدينة الذين رأوا في حركة خير الدين خطراً على مصالحهم الذاتية⁶.

حاول خير الدين حل المشاكل بطريقة سلمية مستعينا بالعلماء الذين حذروهم من عواقب التمرد، ولكن زعماء الثورة رفضوا وأصروا على تمردهم، فأصدر العلماء حينئذ

¹ القل: مدينة كبيرة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط، وهي مدينة متحضرة مليئة بالصناع، أهلها ظرفاء كرماء، تجارتهم رابحة لديهم تجارة بينهم وبين أهل حتيوت، إذ يمدونهم بالجلود، ويأخذون عنهم بضائع أخرى. ينظر: حسن الوزان المصدر السابق ص54

² حاجي خليفة، تحفة الكبار في أسفار البحر، تحقيق وترجمة محمد حرب وتسنيم حرب، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، د: م، -2017م، ص94

³ عنابة: مدينة عتيقة بناها الرومان على سواحل البحر المتوسط، وهي مشهورة ببلد العنب لكثرت، في ذلك المكان يجفف العنب ويؤكل في فصل الشتاء، رجالها صناع وتجار وحاكة أراضيها الزراعية تأتي القمح بكثرة، وتربي فيه الايقار حيث انها كانت تصدر هاتين المادتين الى تونس وجنوة عبر مينائها ويتواطأ كثرة المرجان، (انظر: الحسن الوزان، المرجع السابق، ص61)

⁴ شوفالبيه، المرجع السابق، ص44

⁵ عزيز سامح التري، المرجع السابق، ص75

⁶ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة بربروس، (1512-1543)، المرجع السابق، ص256

بأفتوى تقضى بوجوب القضاء على رؤوس الفتنة وتحرير التعاون معهم فقام خير الدين بتفريق الأهالي الثائرين، واعتقال زعماء الثورة وإعدامهم، وبذلك إنتهت حركة التمرد في الجزائر وخذل الناس إلى الطاعة والسكون¹.

بعد الإنتهاء من مشاكل التمرد والفتن وإستعادة خير الدين للسلطة على المدن المتمردة متيجة وتنس وشرشال²، التي انفصلت عن الدولة أثناء فترة غيابه عن الجزائر 1521-1527 كما تمكن من استمالة بعض القبائل في الغرب الجزائري كقبيلة بني هاشم لتقف بوجه قبيلة بني عامر المتحالفة مع الإسبان³.

فقتل عامين كاملين في ملاحقة المتمردين 1527-1528، التي مازالت قائمة.

وقام بالقبض على سكان تنس وشرشال الفارين وفرض سيطرته على الساحل الممتد من جيجل إلى وهران⁴، وفي سنة 1528م تمردت قسنطينة⁵ على الحاكم الذي عينه خير الدين فجهز حملة وجهت ضربة قاسية إلى المدينة والقبائل، المتمردة المجاورة لها ثم استكمل التنظيم الإداري وشرع في وضع الاعداد لوضع مؤسسات بحرية⁶.

¹ مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين تح: نور الدين عبد القادر، الجزائر، 1934-ص96

² شرشال: هي مدينة كبيرة وازلية، شيدها الرومان كذلك على ساحل البحر المتوسط وهي اصلها مدينة فينيقية كانت تسمى ايول، ثم استقر الملك المغربي يوبا الثاني فوسعها وزخرفها ودعاها القيصرية، وقد خربها الوندال ثم احياها العرب المسلمون ينظر: الحسن الوزان: المصدر السابق، ص34

³ سامح التر: المرجع السابق، ص83

⁴ سامح التر: المرجع السابق، ص85

⁵ قسنطينة: مدينة قديمة بناها الرومان، الواقعة على جبل شاهق، محاطة بجهة لجنوب بصخور عالية، تضم ثمانية الاف كانون ولها متحضرة، لها دور جميل وبيئات محترمة كالمدراس والزوايا، (للمزيد ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، دار صادرة بيروت، لبتان، 2000، ص329)

⁶ كورين شوقالية: المرجع السابق ص45

وهكذا استطاع خير الدين بعد كفاح دام 10 سنوات تقريبا من إعادة فرض سيطرته شبه الكاملة على منطقة الشرق والأوسط وجزء كبير من الغرب الجزائري، قبل أن يتفرغ للقضاء على الإحتلال الإسباني¹.

3- تدمير حصن البنيون وأثره في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر 1529م

بعد أن رجع خير الدين إلى مدينة الجزائر سنة 1525م قام بتوحيد البلاد وتنظيمها والقضاء على كل معارضية ثم تفرغ لحصن البنيون، فحاصره في 6ماي، 1529 وبدأت المدافع تطلق عليه النار واستمرت لمدة 25يوم، دون توقف إلى أن هدمت أسواره وقتلت حاميته وبدون انتظار أعطى خير الدين أوامره لتحطيم الحصن وأنشئ بحطامه رصيف طويل شكل ميناء تحتمي إليه السفن وبهذا الانجاز تخلصت مدينة الجزائر نهائيا من مراقبة الإسبان².

ف تحرير حصن البنيون يعتبر نصرا كبيرا حققه الأتراك فباستيلائهم عليه ضمنوا استمرارية وجودهم في مدينة الجزائر خصوصا بعد بناء ميناء الجزائر، وإتخاذهم له قاعدة وجودهم البحري في شمال إفريقيا بدلا من ميناء حلق الوادي فأصبحوا بذلك القوة الضاربة الأولى في المنطقة، فزرعوا الرعب والفرع في قلوب النصارى وأصبحت الجزائر تراقب جميع الطرق البحرية الكبرى للبحر المتوسط، ومن جهة أخرى نتج عن تحرير حصن البنيون بصفة آلية تحرير كامل ساحل الجزائر الأوسط بشكل نهائي بالإضافة إلى المناطق الشرقية والغربية منه، وهكذا إنحصر الإحتلال الإسباني في بجاية ووهران³.

¹ محمد دراج المرجع السابق، ص258

² ناديه فتيسي، "جهود عروج وخير الدين بربروس في انقاذ الموريسكيين 910-953/1504-1546"، مجلة هيروودوت للعلوم الانسانية والاجتماعية، قسنطينة، العدد5، 2018، ص58

³ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر...، المرجع السابق، ص260-266

الفصل الثالث:

إنجازات خير الدين البحرية

المبحث الأول: تولي خير الدين قيادة الأسطول العثماني ومحاولة ضم تونس

المبحث الثاني: محاصرة جزر الباليار وجنوب إيطاليا وجزيرة قورون 1537م

المبحث الثالث: معركة بريفيزا وبروزة وسيطرة العثمانيين على البحر الابيض المتوسط 1538م

المبحث الرابع: آخر غزوات خير الدين ووفاته وتقويم جهوده في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر

المبحث الأول: تولي خير الدين قيادة الأسطول العثماني ومحاولة ضم تونس

بعد عودة السلطان سليمان القانوني من حرب النمسا منتصرا، قرر محاربة شارلكان سياسيا، فعقد صلح مع فريناند ولكي تكون الاعمال البحرية اكثر نجاحا وفعالية قرر أن يختار قائدا قويا قادرا على قيادة الاسطول العثماني¹، فلم يجد شخصية تستطيع أن تقف في وجه المسيحيين إلا خير الدين فوجه له فرمان سنة 1533²، وكتب فيه: "رغبتي توجيه عمل ضد اسبانيا، ضع مكانك رجلا عاقلا وأسرع إلينا، وإن لم تجد من تتوفر فيه المقدرة اعلمنا"³

وكان للنجاحات البطولية التي حققها خير الدين داخل الجزائر وقع كبير ذاع به لقبه في الافاق، وبرز كشخصية اسلامية قيادية ذات كفاءة وخبرة في مقارعة الصليبيين لذا قرر استدعائه لتعيينه قائدا للبحرية العثمانية⁴، ليتكلف بذلك قيادة الاسطول العثماني برتبة كابودان ديريا (الاميرال الكبير)⁵.

كان خير الدين في البداية مترددا وغير مطمئن على البلاد لأنه سيتترك 7000 أسير في الجزائر، فكانت تقلقه ظاهرة قتل الأسرى، بعد مدة قرر تلبية طلب السلطان فانطلق نحو اسطنبول وأخذ معه رشيد اغا حاكم تونس⁶، وجزء من الاسطول الجزائري المكون من 26 سفينة، والتي اصبحت 44 سفينة عند وصوله⁷ اسطنبول، بعد أن عين مكانه حسن اغا⁸.

¹ عزيز سامح التري، المرجع السابق، ص100

² جميل عائشة، المرجع السابق، ص56

³ عزيز سامح التري، المرجع السابق، ص100-101

⁴ احمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص228

⁵ وليام سينسر، المرجع السابق، ص47

⁶ عزيز سامح التري، المرجع السابق، ص128

⁷ محمد دراج، مذكرات خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص160

⁸ كورين شوفالبيه، المرجع السابق، ص84

وفي طريقه الى هناك اغار على سردينيا، صقلية وجنوة، وهاجم القلاع القريبة منها وقام بنهبها، وصادف في سواحل مسينا 18 قطعة بحرية فاستولى عليها وأسر جميع من فيها، كما إستولى على سفينتين اخريين كانتا متوجهتين الى نابلي، وفي نافرين صادف خير الدين الأسطول العثماني الذي كان يقوده احمد باشا فاتجه الأسطولان إلى إسطنبول¹، واستقبله السلطان سليمان القانوني أمير بحره استقبال الأبطال وأعطى له المهام البحرية ومكنه من قيادة الأسطول عدد سفنه حوالي 80 قطعة زيادة على السفن الجزائرية².

بعدها إنتقل إلى حلب بعدما منحه السلطان الصدارة برا وبحرا والبسه الخلعة، لمقابلة الصدر الأعظم، مكث هناك يومين ثم عاد الى اسطنبول، وبعد وصوله بدأ مهامه كرئيس للأسطول العثماني حيث اعطاه السلطان صلاحيات واسعة فيما يتعلق بصناعة السفن والأسطول فبدأ خير الدين بصناعة السفن بناء على رغبته الخاصة ونظمها ورتبها معتمدا على خبرته السابقة، وفي عهده تطور الأسطول وأصبح هناك تنظيم، وشق البحر بأسطول يتكون من 84 سفينة، وبحارته يلمسون تنظيمًا وتدريبًا جيدًا³.

ضم تونس 1534م وحملة شاركلان عليها 1535

كان خير الدين يحلم بامبراطورية تضم كل إفريقيا الشمالية ليحقق بذلك تفوق الاسلام كله، وهذا شرع في اعداد القوة اللازمة لانجاز مثل هذا العمل، ولم يكن بإمكانه الاعتماد على الانكشارية فقط بسبب ضعف روح الانضباط لديهم فقرر انشاء قوة جديدة الى جانبهم، فكون فرقة من الحراس مكونة من 500من العلوج، وجند نحو 8000 الاف من اليونان والألمان ورجال القبائل، أوكل قيادتهم الى قباطنة من رفاقه الذين يثق

¹ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر....، المرجع السابق، ص275

² بسام العسلي، خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص128

³ عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص104

باخلاصهم، وكان خير الدين يركز اهتمامه على تونس¹، ومن جهة اخرى اخذت الامور بالتدهور في تونس بسبب سوء ادارة الحفصيين²، التي كانت تعيش اضطرابات سياسية وصراعات شبيهة بما كان يجري لدى الزيانيين، فبعد وفاة السلطان الحفصي أبو عبد الله حل مكانه الحسن بن محمد على العرش، كان الحسن هذا طاغية، أحدث مجزرة بين أفراد العائلة الملكية، وقتل جميع اخوته، ولم ينج من بطشه سوى اخوه الرشيد، الذي فر هاربا إلى خير الدين مستجدا به ضد اخيه، والذي اخذه معه إلى اسطنبول³.

فتونس كانت تمثل موقعا استراتيجيا هاما في البحر المتوسط، وكانت لها أهمية كبيرة في تأمين المواصلات بين الحوضين الغربي والشرقي للبحر المتوسط، وبين مقر الدولة العثمانية وإيالة الجزائر، فقد كانت تتحكم في المضيق بينها وبين صقلية، كما كان لها أهمية كبيرة في توطيد الحكم العثماني في الجزائر وفي شمال افريقيا، والتحكم في الطرق البحرية في غرب البحر المتوسط⁴.

فأراد خير الدين أن يغتتم فرصة هذه السلسلة من الانتصارات وتصفية حساب قديم مع سلطان تونس نظرا للمواقف التي كان وقفها سلطان تونس ضده من جهة ولبسط نفوذه من جهة اخرى⁵.

وقد كان السلطان سليمان قد تشاور مع خير الدين على أهمية تونس وضرورة إدخالها في إطار استراتيجية الدولة العثمانية، لتحقيق هدفها نحو استرداد الاندلس⁶، فأدى تشجيع السلطان له وقوته البحرية الى القيام بالمزيد من الفتوحات، وأثناء ذلك كان خير

¹ محمد خير الدين فارس، المرجع السابق، ص33

² بسام العسلي، خير الدين بربروس، المرجع السابق، 128

³ صالح عباد، المرجع السابق، ص61-62

⁴ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر...، المرجع السابق، ص228

⁵ مبارك الملي، المرجع السابق، ص58

⁶ علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص775

الدين يقضي شتاء 1534م في دور صناعة السفن لتهيئة الاسطول العثماني للحملة المزمع شنها على تونس¹.

سار خير الدين على طريق البحر على رأس ثمانية الاف وتسعمائة جندي، ما بين أتراك ويونانيين وألبانيين واسبانيين ارتدوا عن دينهم ودخلوا الاسلام وغادر بأسطول عثماني قوته العسكرية مكونة من 800 انكشاريا و800 بحار²، و100 سفينة في البداية هاجم خير الدين السواحل الإيطالية لتمويه الهدف الحقيقي لحملة ودمر سان لوجيدوا أولا وأسر معظم سكانها، ثم توجه الى كاتارو بألبانيا، لكنه وجد المدينة مهجورة فاحرق جميع السفن الإسبانية الموجودة فيها، ثم توجه الى سيبيرونكا ومنها الى فوندي الإيطالية، وخلال هجومه عليها دفع بإيطاليا الى التخلي عن هدنتها التي دامت 3 عقود ونصف مع الدولة العثمانية لتدخل في حرب معها، ثم توجه الى تونس بعد ذلك وكانت نيته تضليل خصومه عن هدفه الحقيقي³.

لما بلغ عنابة وجد في انتظاره امدادات جاء بها حسن آغا نائبه في مدينة الجزائر، سار الجيش التركي برا نحو بنزرت وبحرا نحو حلف الوادي، دخل الاسطول هذا الميناء دون مقاومة تذكر⁴ وحظي مشروع خير الدين لاحتلال تونس بموافقة السلطان سليمان الذي أرسل له النجدات في تنفيذ مشروعه، ولم يلق خير الدين صعوبة في احتلال القطر التونسي، وحين دخل تونس في صيف 1534، أعلن انتهاء الحكم الحفصي وتبعية تونس للسلطة العثمانية وكسب عناصر كثيرة من السكان إلى جانبه⁵.

¹ نيفين مصطفى حسن سعد، دور الاخوين بربروس في مقاومة الاستعمار الاسباني في شمال افريقيا، دار المنضومة،

كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة قناة السويس الاسماعيلية، رقم المؤتمر 5، 2013، ص755

² محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر...، المرجع السابق، ص283

³ نيفين مصطفى، المرجع السابق، ص775

⁴ صالح عباد، المرجع السابق، ص62

⁵ محمد خير الدين فارس، المرجع السابق، ص33-34

بينما فر السلطان الحفصي مستجدا بالإسبان ضد خير الدين استجاب شارلكان له وأعد أسطولا ضخما يتألف من 412 قطعة بحرية على متنها 30000 رجل الذي انطلق من مدينة كاغلباري في 14 جوان 1535 الى تونس، ولمواجهة الحملة نظم خير الدين دفاعاته وتمكن من اجبار سفن شارل الثاني على التراجع، رغم التفوق العددي للاسطول الإسباني وفي 16 جوان انزل الاسبان قواته في البر واستطاعوا ان يسقطوا في ايديهم الوادي في 14 جويلية بعد قصف مدفعي¹ حاصروها مدة شهر ثم احتلوها واستولوا على المدافع والسفن ونهبوا البلاد وهدموا المساجد كما أحرقوا ومزقوا أغلى الكتب النفيسة².

وفي 17 من نفس الشهر تحرك شالكان إلى مدينة تونس ولمواجهة هذا الزحف عسكر خير الدين في مكان يدعى خربة الكلح³ وفيها وقعت المعركة الفاصلة بين القوتين، والذي غير مجرى المعركة لصالح شارلكان، انضمام الاسرى المسيحيين الذين فلتوا من الأسر إلى صفوف الغزاة⁴.

كان عددهم 11الف فاضطر خير الدين إلى الانسحاب بجيشه الى مدينة عنابة ومنها إلى مدينة الجزائر، ودخل شارلكان مدينة تونس في 21 جويلية، 1535 وفي 6اوت وقع مولاي حسن معاهدة مع شارلكان تضمنت بنودها مختلف مظاهر التبعية⁵.

وقد تضمنت المعاهدة ما يلي:

1-إطلاق جميع الأسرى المسيحيين الموجودين في تونس

2-السماح للمسيحيين بإقامة شعائهم الدينية بمنتهى الحرية

¹ عبد القادر فكاير، المرجع السابق، ص108

² علي حسون، المرجع السابق، ص66

³ تبعد عن مدينة تونس بستة كيلومترات

⁴ عبد القادر فكاير، المرجع نفسه، ص108

⁵ المرجع نفسه، ص108

3-تسليم جميع المدن التي وقعت سابقا بيد خير الدين (بونة،بنزرت،المهدية،حلق الوادي) إلى شارلكان

4-يتعهد مولاي حسن في كل سنة بتقديم 12 حصانا و12مهرا للامبراطور¹.

5-دفع 12 دوكا سنويا

6- اذا تخلف مولاي حسن عن أي شرط، سيدفع 50 الف دوقة وفي المرة الثانية 100الف دوقة في المرة الثالثة تؤخذ البلاد² منه وما إن غادر خير الدين عنابة حتى جاءها الاسبان محتلين (للمرة الثانية) وظلت محتلة إلى أن غادروها يوم 16 اكتوبر 1540 بعد أشهر من الجوع والبؤس³.

بينما ظلت تونس تحت نفوذ الاسبان حتى سنة 1574م، حين تولى علج علي حكم الجزائر، وقضى على الوجود الإسباني بتونس بصفة نهائية بطلب من الأهالي، ووضع حد للدولة الحفصية وعين سنان باشا حيدر حاكما عليها، وأصبحت ملحقة بالجزائر الى غاية 1587م، عندما أصبحت تابعة مباشرة للباب العالي⁴.

¹ عزيز سامح التري، المرجع السابق، ص119-120

² -محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط2، مطبعة محمد افندي مصطفى بحوش بمصر المحمية، مصر، 1896م، ص97

³ صالح عباد، المرجع السابق، ص63-64

⁴ عبد القادر فكايير، المرجع السابق، ص108-110

المبحث الثاني: محاصرة جزر البليار وجنوب إيطاليا وجزيرة قورون 1537 koron

بعد احتلال تونس وعنابة أراد خير الدين أن يشعر إسبانيا بأن استيلائهم على هاتين المدينتين لن يؤثر على طبيعة الصراع أو نتيجته فاستغل فرصة انشغال الأسطول الإسباني بتونس، وتوجه على رأسه اسطول كبير مكون 32 قطعة بحرية، أغار بها على جزر البليار واحتل مدينة ماهون، واستولى على عدد هائل من الغنائم و6000 أسير، كما أغار على قلعة قسطيلة في جنوب إيطاليا وقام بتخريبها بعد أن استولى على عدد كبير من الأسرى عاد بهم جميعا إلى اسطنبول

كانت هذه الغارات ردا عمليا على احتلال تونس وفسدت شارلكان نشوة النصر التي شعر بها عقب احتلاله لتونس وعنابة¹.

محاصرة جزيرة قورون 1537koron

عندما تحرك السلطان سليمان إلى النمسا من جديد سنة 1532م فقام امبراطور النمسا فرديناند من طلب المساعدة من شارلكان فقام هذا الأخير بإرسال مساعدات إلى أخيه فكلف أندري دوريا باحتلال قورون عن طريق البحر، وفي هذه الاثناء كان خير الدين على وشك التحرك باتجاه المياه الشرقية، ولكي يتمكن أندري دوريا من تنفيذ مهمته، أرسل اسطولا مكونا من 14 سفينة الى سواحل وهران بقصد اشغال خير الدين وتمكن أندري دوريا من تحقيق مقصده والاستيلاء على قلعة قورون².

وفي سنة 1537 خرج خير الدين بأمر من السلطان القانوني على رأس أسطول عثماني مكون من 280 قطعة بحرية من مختلف الاحجام فأغار على أولونيا مرورا بقورون ومودرون وبروزة، فقد كان القانوني يهدف من وراء هذه الحملة الى فتح روما بعد

¹ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر...، المرجع السابق، ص108

² عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص97

أن يستولي على نابولي، وفي هذا الوقت الذي غادر فيه خير الدين اسطنبول، كان القانوني قد خرج على رأس الحملة متوجها الى اولونيا، ولكن قبل ان يبلغ الجيش غايته، ترامت إلى القانوني أنباء عن نقض جنوة لمعاهدة السلم التي كانت تربطها مع الدولة العثمانية، منذ سنة 1502م وأعلنت تحالفها مع الامبراطور شارلكان في حربه ضد العثمانيين، أدت الى تأجيل حملته على روما والتوجه الى جزيرة قورفو¹، فقام بفرض حصار من البر والبحر لمدة 12 يوما، لكن الاحوال الجوية وأسباب أخرى دفعت به إلى رفع الحصار على القلعة والعودة الى اسطنبول².

أما الأسطول الذي كان يقوده خير الدين فانه أغار اثناء رجوعه إلى اسطنبول على 12 جزيرة من الجزر الواقعة على بحر الادرياتيك والتي كانت تابعة لجمهورية البندقية، فحاز ذلك من غنائم على هائلة عاد بها جميعا الى اسطنبول³.

¹ هي جزيرة تقع على ساحل البحر الادرياتيك والتي كانت تابعة الى جنوة،(انظر:محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر...، المرجع السابق، ص299)

² المرجع نفسه، ص 298-299

³ المرجع نفسه، ص299

المبحث الثالث: معركة بريفيزا وبروزة وسيطرة العثمانيين على البحر المتوسط 1538م

بدأ الامبراطور شارل الخامس في النظر إلى المصلحة العامة للامبراطورية، فوجد أن إمبراطوريته في حالة يرثى لها فقد كانت ألمانيا تتن بالمشاكل الناتجة عن مرحلة الإصلاح الديني اللوثرى، وكذلك ازدياد قوة العثمانيين، فالمد العثماني أصبح يخترق أملاك الامبراطورية، لهذا فقد تحولت سياسته من البحث عن الزعامة السياسية في اوروبا والمنافسة مع فرانسو الاول إلى البحث عن المصلحة العامة الامبراطورية¹ فطلب البابابول لم شمل الاوروبيين لمواجهة المد الإسلامي العثماني، وقد نجح هذا الاخير في عام 1538م من جعل إسبانيا والبنديقية تعقدان حلفا مع البابوبة ضد الأتراك وتشكيل الجمعية المقدسة، ونظرا للقوة التي تتمتع بها البحرية الجزائرية آنذاك، قرر السلطان العثماني إقحامها في هذا الصراع كما أن خير الدين في ذلك الوقت كان هو القائد العام للاسطول العثماني، وكان معه مساعديه درغوث ومن الجزائر صراح راييس الذي تولى منصب باي لرباي شمال افريقيا، تألق اسطول خير الدين من 222 سفينة خفيفة بالاضافة الى سفن التموين، وفي المقابل جمعت الجمعية المقدسة 55 سفينة من البنديقية و49 سفينة من اسبانيا و27 سفينة من روما وفرسان القديس يوحنا بمالطا².

وتشكل الاسطول من القوات المتحالفة وضم 200 سفينة على متنها 60 الف جندي بقيادة أندري دوريا³.

¹ عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى انتهاء الحرب العالمية الاولى، د:ط، دار الفكر العربي، مصر، 1999م، ص100

² رشيد بن جدي، المرجع السابق، ص43

³ زيارة سامية، الجهاد البحري في الجزائر العثمانية(902-1506/129هـ-27م)، منكرة لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2013-2014م، ص57

وقعت المعركة في جزيرة بريفيزا في شهر سبتمبر وامتدت من الصباح إلى المساء، استطاع خلالها خير الدين اغراق سفينتين واحتجاز 5 سفن مسيحية، الامر الذي جعل اندري دوريا يقوم بسحب قواته ولا يغامر مواصلة الحرب محسومة النتيجة، وقيل أن سبب الانسحاب هو أن قائد الاسطول البندقي والاسطول المالطي لم يكونا يطيعان اوامره، وبهذا الانسحاب حقق خير الدين الانتصار في المعركة¹، وكان من نتائج المعركة بالاضافة إلى انتصار العثمانيين فيها هو أن الحلف الصليبي تفكك بعد انسحاب البنادقة الذين سارعوا الى طلب التحالف مع الدولة العثمانية التي لم تقبل الطلب في البداية إلى بعد مرور سنة² أما الدولة العثمانية فقد بسطت كامل نفوذها على كامل البحر المتوسط شرقا وغربا، وأحكمت سيطرتها على كامل المنافذ لمدة طويلة من الزمن وخلقت هذه الهزيمة أزمة كبيرة في قلوب الاوروبيين الذين أصبحوا لا يعترضون طريق السفن الاسلامية التي تعبر مضيق جبل طارق من أجل الغزو، ومن بين نتائج هذا الانتصار على الجزائر هو أن حسن باشا فكر في تطوير دار الصناعة بالمواد الاولية اللازمة لهذا الغرض من الدول الاوروبية التي صار الجزائريون خاصة والعثمانيون بصفة عامة يبحرون في سواحلها بكل حرية³.

معركة بروزة وسيطرة العثمانيين على البحر المتوسط 1538م

في سنة 1538م عقد تحالف صليبي ضم معظم الدول الأوروبية الكبيرة في ذلك الوقت مثل: ألمانيا وأسبانيا والبرتغال والبندقية بالاضافة الى دول صغيرة كجنوة وفلورنسا ومالطا، وقد تم هذا الحلف برعاية البابابول الثالث، وزعماء شارلكان، كان هدف شارلكان من هذا التحالف هو الاستفادة من هذا الاسطول والقضاء على القاعدة العثمانية في

¹ جون وولف، الجزائر واوروبا 1500-1830م، تر: ابوقاسم سعد الله، د: ط، دار الرائد، الجزائر، 2009م، ص53-54

² صالح حيمر، التحالف الاوروبي ضد الجزائر وتأثيراته الاقليمية والدولية، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة باتنة،

الجزائر، 2006-2007م، ص63

³ رشيد بن جدي، المرجع السابق، ص44

الجزائر، بينما كانت البندقية تهدف إلى إستعادة الجزر التي استولى عليها العثمانيون في بحر ايجة، وهكذا شهدت سنة1538م احتشاد أكبر أسطول أروبي في عرض البحر المتوسط، لم يعرف تاريخ الحروب البحرية له منذ معركة اكسيوم¹، كان الأسطول مكونا من أكثر من 600 سفينة منها 308 سفن حربية، و 120 سفينة كبيرة لنقل الجنود، وكان الأسطول يحمل على متته 60000 جنديا، أما الأسطول العثماني فقد كان مكونا من 122 سفينة و20000 جنديا على متنها، فقد قال عنه خير الدين:" في حياتي لم أرى ولم أسمع بل حتى في كتب التاريخ لم أقرأ عن أسطول بهذا الحجم... إن اجتماع هذا العدد الهائل من المحاربين على سطح البحر في موضع واحد لا يمكن أن تراه العين أو تسمعه الاذن بل يصعب حتى تصوره..."²

تولى خير الدين قيادة الأسطول وكان معه ابنه حسن رئيس ويساعده في ذلك أمره البحارة العثمانيين الذين لعبوا دورا كبيرا في تثبيت الوجود العثماني في البحر المتوسط وشمال افريقيا، وكان على رأس الأساطيل المتمركزة سنان رئيس، وشعبان رئيس، وصالح رئيس وتوغرت رئيس الذي كان على رأس الاسطول الاحتياطي³.

إضافة الى ذلك كان الأسطول العثماني متجانس من حيث الهدف والغاية كما كانت معظم قطعه البحرية تتكون من سفن صغيرة خفيفة تسهل عليها القيام بالماورة والانفاف حول سفن العدو الضخمة، المثقلة بالجنود والمعدات، وهكذا ففي الوقت التي كانت فيه السفن الصليبية تدور بتثاقل، كانت القوارب العثمانية تقوم بعمليات التفاف سريعة خلفها لتوجه اليها قذائف مدافعها بسهولة، ومن الناحية التقنية كان الاتراك يستخدمون مدافعا تعتبر أكثر تطورا من تلك التي يستعملها الاوروبيون، والتي كان كمال رئيس قد قام

¹ هي معركة قادها ولي عهد امبراطورية روما اكتافيانوس ماركوس انتونيوس ضد اسطول كليوباترا والتي وقعت في سواحل اليونان سنة 31 قبل الميلاد،(أنظر: محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر....، المرجع السابق، ص300)

² محمد دراج، مذكرات خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص184-185

³ محمد دراج، المرجع نفسه، ص186-187

بتطويرها، وهكذا فعندما كان الاتراك يقصفون السفن الاوروبية من مسافات بعيدة، كانت القذائف الاوروبية تتساقط في مياه البحر دون ان تبلغ هدفها¹.

اذ لم يكن في وسع دوريا ان يتحكم في الاساطيل التي وضعت تحت يده، وكان عاجزا على ادارتها والسيطرة عليها ومن جهة اخرى كان جنود العدو لا يفهم بعضهم لغة بعض، تسود بينهم مشاعر الحسد والبغضاء لكونهم استقدموا من أجناس مختلفة، لا يربط بينهم رابط، كما كان كبير أميرالات البندقية فينستانتى كابيلى وقائد أسطول البابوية ماركو غريمانى كانا يكرهان دوريا، واتهموه بعد الهزيمة التي منو بها بأنه غدر بهم وخانهم²، وفي شهر سبتمبر 1538م، قرر قادة التحالف المقدس، شن الهجوم على الاسطول العثماني، وبدأ الهجوم على قلعة بروزة، مما أثار انتباه خير الدين³، فارسل توغروت رئيس على رأس أسطول مكون من 20 قطعة بحرية، بينما توجه هو على رأس بقية الاسطول العثماني إلى قاعدة مودون⁴.

وفي 28 سبتمبر 1538م قام اندي دوريا بمناورة للقضاء على الأسطول العثماني، لكنه فوجئ بالاسطول العثماني راسيا على مسافة قريبة من الاسطول الصليبي، ذلك لأن خير الدين قام بمناورة واخذ وضعية الاستعداد للمعركة في عرض البحر.

أمر اندي دوريا الاقتراب من الاسطول كي يكون في مرمى مدفعيته، بينما أصدر خير الدين أمره إلى توغرت بالالتفاف حول الاسطول الصليبي، واتخذت وحدات الاسطول العثماني شكل الهلال، وأخذت في التوزع على الجانبين، تمهيدا للاطباق على أسطول العدو، بواسطة الجناحين بالاضافة إلى الاسطول الرئيسي الذي كان سينطلق من

¹ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة بريروس، المرجع السابق، ص 302-303

² محمد دراج، مذكرات خير الدين بريروس، المرجع السابق، ص 187-188

³ نيفين مصطفى سعد، المرجع السابق، ص 779

⁴ هي قاعدة واقعة على السواحل الشمالية لشبه جزيرة المورة (أنظر: محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر...،

المرجع السابق، ص 303)

قلب الاسطول العثماني وعندما بدأت المعركة كانت الرياح الجنوبية تهب بشدة مخالفة لإتجاه سفن الاسطول العثماني¹، حيث قال خير الدين: "وعند ذلك قمت بنثر اوراق مكتوب عليها آيات من القرآن الكريم على سطح البحر ثم وقفت متضرعا الى الله في ذلة وانكسار بأن يلطف بنا ويتولانا بحفظه ورحمته فلم يمض وقت يسير حتى استجاب الله لدعائي ولم تلبث العاصفة ان هدأت قليلا ثم تغير اتجاهها..².

فقد ساعدت الرياح التي كانت تهب باتجاه معاكس للأسطول الصليبي على إدارة المعركة لصالح العثمانيين التي شرعت وحدات أسطولهم الرئيسية في قصف السفن الأوروبية بقذائف مدفعية، فكان من نتيجة هذا الاشتباك أن تم إغراق عدد كبير منها³. وتمكن خير الدين من الاستيلاء على مركبتين إسبانيتين ومركبين آخرين أحدهما للبنديقية والآخر للبابا، مما اصاب اندري دوريا بالإحباط قبل الهجوم بفضل الانسحاب في جنح الضلام وعدم مهاجمة الاسطول العثماني⁴.

مسجلا بذلك أكبر هزيمة في تاريخ المعارك البحرية حتى ذلك العصر في معركة لم تزد عن 5 ساعات رغم التفوق العددي الهائل الذي كان بين القوتين المتحاربتين، وفي هذا الوقت انتهز خير الدين فرصة ارتباك الأسطول الصليبي، فأمر بتعقب السفن الهاربة فقام توغورت بمطاردتها والاستيلاء على السفن التي لم تتمكن من الفرار، فقد خسر الصليبيون في هذه المعركة 123 سفينة حربية بين سفن غريقة واخرى معطوبة، كما قام العثمانيون باغراق عدد كبير منها، والاستيلاء على 36 سفينة بالاضافة الى 3000 اسيرا⁵.

¹ المرجع نفسه، ص 304-305

² محمد دراج، مذكرات خير الدين بربروس، ص 190

³ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر...، المرجع السابق، ص 304-305

⁴ نيفين مصطفى سعد، المرجع السابق، ص 779

⁵ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر...، المرجع السابق، ص 305-306

فقد كان الصليبيون يطمعون بانتزاع البحر المتوسط من أيدي العثمانيين والاستيلاء على ممتلكاتهم، بل تمادى بهم خيالهم الساذج إلى تقاسم ولايات السلطان، واتفقوا فيما بينهم على ايهم من يملك هذه الولاية أو تلك¹.

وكانت أهم نتيجة تمخضت عن هذه المعركة هي سيطرة العثمانيين على شرق ووسط البحر المتوسط بدون منازع².

وفي السنة الموالية خرج خير الدين على رأس أسطول فتوغل في بحر الادرياتيك، وفي هذه السنة تمكن حسن رئيس وتوغروت من انتزاع قلعة نوا noua من جمهورية البندقية وفتحها، الامر الذي دفع هذه الاخيرة إلى الخضوع وطلب الصلح³.

فقد كانت معركة بروزة كارثة على دول التحالف المسيحي، فحينما انتهت تقدمت البندقية بعروض للصلح بمساندة الملك الفرنسي الى السلطان سليمان، وبهذا تهدد الامن المشترك للعالم المسيحي في البحر المتوسط على نحو خطير، فالعثمانيون لم يهجموا فحسب بل سيذهبون إلى أبعد من مالطا وصقلية، ازاء ذلك انكفأت القوة البحرية إلى وضع دفاعي ضعيف لكنه مكلف من الناحية الاستراتيجية، وفي 20 اكتوبر 1540، خضعت البندقية للعثمانيين، بعد مفاوضات مطولة استمرت 3شهور، وافقت بموجبها دفع 300الف دوكة تعويضا عن أضرار الحرب، كما تخلت عن جميع الجزر التي انتزعت منها في المورة، واعترفت بفتوحات خير الدين كلها في بحر إيجه في الدول العثمانية مقابل موافقة العثمانيين على استمرار حكمها في كريت وقبرص واستعادة ميزات التجارية، بعد هذه النتيجة، أخذ المد الإسلامي يجتاح المناطق الممتدة على طول الساحل الشمالي للبحر المتوسط، حتى وصل اشبيلية وبات الأخطبوط العثماني يجتاح البحر المتوسط برمته بعد القضاء على القوة البندقية⁴.

¹ محمد دراج، مذكرات خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص191

² محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر...، المرجع السابق، ص306

³ محمد دراج، مذكرات خير الدين بربروس، المرجع السابق ص192

⁴ نيفين مصطفى سعد، المرجع السابق، ص 779-780

المبحث الرابع: آخر غزوات خير الدين ووفاته وتقوم جهوده في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر

في سنة 1543م ساءت العلاقة من جديد بين إسبانيا وفرنسا بسبب قتل الإسبان لرسولين فرنسيين، في لومبارد بإيطاليا حيث كان أحدهم يعبر الاراضي الإيطالية، حاملا رسالة إلى دولة البندقية، والثاني يحمل رسالة إلى السلطان سليمان، وذلك في ظل معاهدة سلام كانت منعقدة بين فرنسا وإسبانيا، وبناء على هذه الحادثة عادت الحرب بين البلدين، فأصدر السلطان سليمان أمره إلى خير الدين بضرب السواحل الإيطالية، فخرج بأسطول كبير واحتل غويته geeta ونيس nis وهدد روما¹، واتخذ مدينة مرسيليا مقرا عاما للأسطول العثماني حيث اجتمع الأسطول العثماني والأسطول الفرنسي ليهاجما من هناك مدينة نيس لتحريرها من الاحتلال الإسباني وإعادتها إلى فرنسا، ثم استقر خير الدين في مدينة طولون البحرية، وأخذها قاعدة للجيش العثماني والأسطول، بعد أن غادرتها الاغلبية الكبرى من سكانها، وتركوها بأمر من ملك فرنسا بين أيدي المسلمين، فلم تعد تسمع في طولون الى أصوات المؤذنين ةاقتلع اجراس الكنائس، وبقي خير الدين بمدينة طولون حتى سنة 1544م².

غادر خير الدين وأسطوله مرسى طولون من جراء هذا الصلح راجعا الى اسطنبول مباشرة أعماله الحربية، وأثناء رجوعه أغار على جزيرة ألبا وكانت من ممتلكات إسبانيا فاحتلها وغنم بها، كما احتل عددا من المدن الساحلية من بينها مدينة ليباري، ورجع الى اسطنبول مثقلا بالغنائم قوبل فيها كما يقبل الابطال الفاتحين³.

¹ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر...، المرجع السابق، ص323-324

² احمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 315

³ احمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص316

وبعد حياة حافلة بالمغامرات، مكلة بالانتصارات توفي بطل البحرية العثمانية ومؤسس ايالة الجزائر خير الدين بربروس في اسطنبول سنة 1546م ودفن بساحل بشكاش باسطنبول¹، أما المدني فيذكر أن وفاته في شهر ماي سنة 1547م وهو في سن الثمانين، قضى منها زهاء الثلاثين سنة وهو على رأس مملكة الجزائر الجديدة، وقضى أواخرها جامعا بين مملكة الجزائر وبين امارة البحر العامة للاسطول الاسلامي العثماني².

فلم يكن خير الدين مجرد مغامرا أو قرصانا شهيرا، بل كان مؤسس دولة، وشخصية من أبرز شخصيات التاريخ العثماني، بوصفه منظم القوة البحرية العثمانية العظيمة في القرن السادس عشر، وكان فضلا عن هذا قوة من القوى الفعالة في تاريخ الصراع في البحر المتوسط في هذا القرن الحافل بالصراع³.

تقويم جهود خير الدين في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر

تميزت الفترة التي تولى فيها خير الدين الحكم خلفا لأخيه عروج بعدة خصائص هامة ميزت حكمه عن حكم اخيه، ومن جاء بعده من الولاة:

الأولى: كثرة الثروات وحركات التمرد وبحسن سياسته تمكن من القضاء على هذه الثورات مستعملا سلاح الترغيب تارة والترهيب تارة اخرى، وذلك اما بتقليصها أو باستمالة زعمائها أو بكسر شكوكتهم⁴.

الثانية: أصبح اقليم الجزائر أول اقليم في شمال افريقيا تحت حكم الدولة العثمانية، أي الحاق الجزائر بالدولة العثمانية اعتبارا من عام 1519م ودعي السلطان سليم على المنابر في المساجد وضربت العملة باسمه⁵.

¹ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر...، المرجع السابق، ص324

² احمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص317

³ محمد خير الدين فارس، المرجع السابق، ص29

⁴ محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر...، المرجع السابق، ص324-325

⁵ محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص298

الثالثة: تحرير كافة المناطق التي كانت خاضعة للاحتلال الاسباني، فلم تبقى في أيديهم سوى بجاية ووهران حيث تم في عهد خير الدين تحرير تنس، شرشال، جيجل، الجزائر، دلس، مستغانم، هنين وقلعة بني راشد....

الرابعة: بروز الدور الفعال للأسطول العثماني الذي تولى خير الدين قيادته، حيث تمكن من نقل الحرب مع أوروبا من البر إلى البحر ونشر الرعب في الدول المطلة على ساحل البحر المتوسط¹.

الخامسة: بروز ما يمكن تسميته بالأهمية السياسية للجزائر.

السادسة: انقاذ عشرات الآلاف من مسلمي الأندلس ونقلهم إلى الجزائر، وكيف نضم خير الدين 36 حملة بحرية نقل خلالها 70000 أندلسي إلى الجزائر².

¹ محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر...، المرجع السابق، ص 326-327

² المرجع نفسه، ص 328-329

الختمة

الخاتمة:

1. شهدت الجزائر اواخر القرن ال15م وبداية القرن 16م تدهورا في مختلف الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية بسبب تجزئتها وضعفها نتيجة الخلافات العائلية والصراع بين الدولتين المجاورتين لها بني حفص وبني مرين، مما جعل الاسبان يستغلون هذه الاوضاع لبسط نفوذهم الاستعماري في هذه البلاد.
2. ان لظهور الاخوة بر بروس عروج وخير الدين في الجزائر دورا هاما في انقاذ الجزائر من الاحتلال الاسباني الصليبي فقد قاموا باحباط المشروع الصليبي واقاموا دولة ذات اسس لها انتماء للخلافة العثمانية وتقاليد إدارية ذا مكانة دولية لعبت دورا جبارا في عملية الجهاد البحري.
3. نجح عروج وخير الدين في تحرير عدة مدن من الجزائر من الاحتلال وافشال الحملات الحربية الاسبانية على مدينة الجزائر سنة 1516م 1519م.
4. بعد ان ربط خير الدين بر بروس بالجزائر بالدولة العثمانية لتصبح ايالة، استطاع رد هجمات الاحتلال الاسباني على الجزائر، وساهم في تحرير القل وبونة (عنابة) وجيجل، تنس، مستغانم، شرشال، قسنطينة ووهران لاحقا قام بتحطيم حصن البنيون الذي بناه الاسبان.
5. ساهمت هذه النجاحات في وصول خير الدين لمراتب عليا ليصبح القائد العام للأسطول العثماني.
6. انتصار خير الدين في معارك بحرية كثيرة منها معركة بروزه وتحرير حصن البنيون، مما ساهم في حصار ووضع حد للتوسع الاوروبي في شمال افريقيا.
7. لقد حقق خير الدين نجاحا كبيرا في الجزائر التي اصبحت حصنا منيعا يلتجأ اليه المهاجرون الاندلسيون، وكان للعثمانيين بالجزائر دورا كبير في مساعدتهم على الهجرة وترحيلهم.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر

1. التلمساني محمد ابن رقية، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين اغارت عليها جنود الكفرة، ضبط وتعليق: خير الدين سعيدي الجزائري، ط1، اوراق ثقافية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017م
2. خليفة حاجي، تحفة الكبار في اسفار البحار ترجمة ومراجعة: محمد حرب وتسليم حرب، ط1، دار النشر للثقافة والعلوم، د: م، 2017م
3. خوجة حمدان بن عثمان، المرأة، تعريب وتقديم: محمد العربي الزبيري، د: ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م
4. خير الدين بر بروس، مذكرات خير الدين بر بروس، تحقيق محمد دراج، ط1، شركة الاصاله للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م
5. الراشدي احمد بن سحنون، الثغر الجماني في الابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي ابو عبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003م
6. سبنسر ويليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم: عبد القادر زباديه، د: ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006م
7. كاربخال مارمول، افريقيا، ترجمة: محمد حجي واخرون، ج1، ط1، دار المعرفة، الرباط، 1989م
8. المحامي محمد فريد بك، تاريخ الدولة العليا العثمانية، تحقيق احسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1971م
9. مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر، د: ط، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934م

10. الوزان حسن، وصف افريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الاخضر، ج2، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983

ب- المراجع

1. ايفانوف نيقولاوي، الفتح العثماني للأقطار العربية، ترجمة يوسف عطا الله، ط2، دار الفرابي، بيروت، 1989م
2. بوحش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية الى غاية 1962م، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1997م
3. بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م
4. بيات فاضل، الدولة العثمانية في المجال العربي (دراسة تاريخية في الاوضاع الادارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، حصرا- مطلع العهد العثماني- اوساط القرن 19م) ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007م
5. بيومي زكريا سليمان، قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، (التحالف الصليبي الماسوني الاستعماري وضرب الاتجاه الاسلامي) ط1، عالم المعرفة، جدة، 1991م
6. التر عزيز سامح، الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت 1989م
7. جلال يحي، تاريخ المغرب العربي، ج3، د: ط، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1981م
8. جمال شوقي عطا الله، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب) د: ط، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، 1977م

9. جوليان اندري شارل، تاريخ افريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الاقصى) من الفتح الاسلامي الى سنة 1830م، تعريب: محمد مزالي والبشير سلامة، ج2، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985م،
10. الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ج2، ط2، دار الحياة للنشر والتوزيع، بيروت، 1965م
11. حسون علي، تاريخ الدولة العثمانية، ط3، المكتب الاسلامي، بيروت، 1992م
12. الحموي ياقوت، معجم البلدان، ج4، د:ط، دار صادرة، بيروت، 2000م
13. دراج محمد، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة بر بروس (1512-1543م)، ط1، شركة الاصاله، الجزائر، 2012م
14. سعد الله ابو قاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1984م
15. شاكر محمود، التاريخ الاسلامي والتاريخ المعاصر في بلاد المغرب، ط2، المكتب الاسلامي، بيروت، 1996م
16. الشناوي عبد العزيز محمد، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، ج1، د:ط، مكتبة الانجلو المصرية للطبع والنشر، القاهرة، 1980م
17. شوفالييه كورين، الثلاثون سنة الاولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510م-1541م) ترجمة: جمال جمادنة، د:ط، ديوان المطبوعات الجامعية، د:م، 2007م
18. الصلابي محمد علي، الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط، ط1، دار التوزيع والنشر الاسلامية، د:م، 2001م
19. عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي (1512م-1830)، د:ط، دار هومة، الجزائر، 2012م
20. عبد القادر نور الدين، صفحات في تاريخ الجزائر، د:ط، نشر كلية الآداب، الجزائر، 1965م

21. العسلي بسام، الجزائر والحملات الصليبية (1547م-1791م) ط2، دار النفائس، بيروت، 1986م
22. العسلي بسام، خير الدين بر بروس، ط1، دار النفائس، بيروت، 1980م
23. العقاد صالح، المغرب العربي في تاريخ الحديث المعاصر، الجزائر، تونس، المغرب الاقصى، ط2، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، 1993م
24. غطاس عائشة، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث والحركة الوطنية وثورة اولى نوفمبر، 1954، د:ط، د:ن، د:م، د:ت
25. فارس محمد خير، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي، ط1، دراسات في تاريخ شمال افريقيا الحديث، د:م، 1969م
26. فكاير عبد القادر، الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (910-1200هـ/ 1505م-1792م) دراسة تتناول الاثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر، د:ط، دار هومة، الجزائر، 2012م
27. فيلاي عبد العزيز، بحوث في تاريخ المغرب الاوسط في العصر الوسيط، د:ط، دار الهداية للطبع والنشر، الجزائر، 2014م
28. قنان جمال: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500 - 1830م) د:ط، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2010م
29. الكعك عثمان، موجز التاريخ العام للجزائر، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2003م
30. المدني احمد توفيق، حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492م-1792م) د:ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د:ط
31. الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج3، د:ط، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، د:ت

32. نوار عبد العزيز سليمان، التاريخ الاوروبي الحديث، د:ط، دار الفكر العربي، مدينة نصر، 1999م
33. نيرو شارل، تاريخ جيجلي، تعريب عبد الحميد سرحان، د:ط، دار الخلد ونية، الجزائر، 2010م
34. وولف جون، الجزائر واوروبا (1500-1830م)، ترجمة وتعليق ابو قاسم سعد الله، د:ط، دار الرائد، الجزائر، 2009م
35. يحي جلال، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، د:ط، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 1999م
36. يحيوي جمال، سقوط غرناطة ومأساة الاندلس (1492م-1610م) د:ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م

ج- الرسائل والأطروحات الجامعية

1. بن جدي رشيد، رياس البحر في الجزائر ودورهم العسكري والاقتصادي منذ بداية الوجود العثماني الى غاية نهاية البيلر بايات (1518م-1587م) مذكرة ماستر، جامعة محمد بو ضياف، المسيلة، 2018م-2019م
2. بوزيد جمال، مشروعية الجهاد البحري الاسطول الجزائري في العهد العثماني (1512م-1830م)، مذكرة ماستر، تاريخ وطن عربي معاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بو ضياف، المسيلة، 2018م-2019م
3. جميل عائشة، الجزائر والباب العالي من خلال الارشيف العثماني (1520-1830م)، اطروحة دكتوراه، تاريخ حديث كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2017-2018م
4. حيمر صالح، التحالف الاوروبي ضد الجزائر وتأثيراته الاقليمية والدولية، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة باتنة، الجزائر، 2006-2007م

5. زيارة سامية، الجهاد البحري في الجزائر العثمانية (902هـ-1502م/1209هـ 1827)، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2013-2014م
6. شباحي خليفه، شخصيات ومواقف من تاريخ الجزائر الحديث (1519-1830م)، مذكرة ماستر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بو ضياف، المسيلة، 2018-2019م
7. العيادي سهيلة، واسطة السلوك في سياسة الملوك لأبي حمو موسى الثاني الزياتي، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خضير، بسكرة، 2019-2020م
8. كليل صالح، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الاوسط، رسالة ماستر، تاريخ حديث ومعاصر، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة العقيد حاج لخضر، باتنة، 2006-2007م
9. مبرك سامية، مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية في البحر المتوسط خلال القرن 16م، مذكرة ماستر، تاريخ الجزائر الحديث، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بو ضياف، المسيلة، 2018-2019م
10. مقراني كريمة، اشكالية الوجود العثماني في الجزائر من خلال المراجع الجزائرية، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تاريخ الجزائر الحديث، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بو ضياف، المسيلة، 2020-2021م

د - المقالات:

1. ابلالي أسماء، التحرشات الاسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 16م، مجلة روافد البحوث والدراسات، جامعة غرداية، الجزائر، العدد2، 2007م

2. التميمي عبد الجليل، اول رسالة من اهالي مدينة الجزائر الى السلطان سليم الاول 1519م، المجلة التاريخية المغربية، العدد6، 1974م
3. ج.ت.نياني، افريقيا في القرن الثاني عشر الى القرن السادس عشر، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ افريقيا، المجلد4
4. دادة محمد، تلمسان في دوامة الصراع الثلاثي بين الاسبان والعثمانيين والمغاربة في ق16م، مجلة العصور الجديدة، العدد2، 2001م
5. سعدي خير الدين، الحملات الاسبانية على مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1518م-1775م) من خلال مخطوط الزهرة النائرة لابن رقية التلمساني، مجلة دراسات وابحاث، جامعة اسطنبول، العدد29، 2017م
6. صديقي بلقاسم، بدايات الوجود العثماني بالجزائر 1505-1519م، مجلة مشكلات الحضارة، جامعة ابو قاسم سعد الله، الجزائر، 2020م
7. عقيب محمد السعيد، دور خير الدين بر بروس في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر، مجلة البحوث والدراسات، قسم العلوم الانسانية، جامعة الوادي، الجزائر، العدد13، 2012م
8. فتيسي نادية، جهود عروج وخير الدين بر بروس في انقاذ الموريسكيين، 910-953هـ/1504-1546م، مجلة هيرو دوت للعلوم الانسانية والاجتماعية، قسنطينة، العدد5، 2018م
9. محمد دراج، محاضرات في تأسيس ايالة الجزائر، جامعة الجزائر.
10. المشهداني مؤيد محمود حمد، اوضاع الجزائر اثناء الحكم العثماني 1518-1830م، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المجلد 5، العدد16، 2013م
11. مصطفى نيفين حسن، دور الاخوين خير الدين بر بروس وعروج في مقاومة الاستعمار الاسباني في شمال افريقيا، دار المنظومة كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة قناة السويس الاسماعيلية، رقم المؤتمر 5، 2013م

12. هلايلي حنيفي، محاضرات في بابا عروج وبدايات تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة، جامعة سيدي بلعباس
13. الواعر صبرينة، الغزو الاسباني للمدن والموانئ الجزائرية وهران والمرسى الكبير 1505-1792م، مجلة البحوث التاريخية، المدرسة العليا لأساتذة اسيا جبار، الجزائر، المجلد4، العدد1، 2020م

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر وعرهان
إهداء
قائمة المختصرات
مقدمة أ

الفصل التمهيدي: أوضاع الجزائر قبيل الدخول العثماني

1-الأوضاع السياسية 11
2-الأوضاع الاقتصادية 13
3-الأوضاع الاجتماعية 15

الفصل الأول: نشاط عروج وخير الدين في البحر

المبحث الأول: نبذة عن حياة الإخوة بربروس 18
1-عروج رابس (1470م-1518م): 18
2-خير الدين بربروس (1472-1548): 24
المبحث الثاني: الوجود العثماني في غرب المتوسط 27
المبحث الثالث: ظهور الإخوة بربروس في سواحل شمال افريقيا 31

الفصل الثاني: دخول الاخوة بربروس إلى الجزائر

المبحث الأول: الظروف العامة وأسباب الدخول 37
1-الظروف العامة: 37
2-تحرير المدن والموانئ: 38
أ-تحرير بجاية 1512م 38
ب-تحرير جيجل 1512م 40
ج-بداية العلاقة مع الدولة العثمانية 1514م 41

- د-عروج في مدينة الجزائر 1516م:44
- ه-تحرير تنس 1518م45
- و-عروج في مدينة تلمسان 1518م46
- ز-تقويم جهود عروج في التمهيد للدخول العثماني الى الجزائر:47
- المبحث الثاني: تولي خير الدين حكم البلاد.....50
- المبحث الثالث: دور خير الدين في تثبيت الوجود العثماني في الجزائر54
- 1-التصدي للحملات الإسبانية ضد الجزائر سنتي 1519-1520 م54
- 2-بسط النفوذ العثماني في الجزائر والقضاء على حركات التمرد.....56
- 3-تدمير حصن البنيون وأثره في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر 1529م60

الفصل الثالث: إنجازات خير الدين البحرية

- المبحث الأول: تولي خير الدين قيادة الأسطول العثماني ومحاولة ضم تونس.....62
- المبحث الثاني: محاصرة جزر البليار وجنوب إيطاليا وجزيرة قورون 1537 koron ..68
- المبحث الثالث: معركة بريفيزا وبروزة وسيطرة العثمانيين على البحر المتوسط 1538م.70
- المبحث الرابع: آخر غزوات خير الدين ووفاته وتقوم جهوده في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر.....76
- الخاتمة:80
- قائمة المصادر والمراجع.....82
- الملخص:.....93

الملخص:

لقد عاشت بلاد المغرب العربي بداية القرن 16م عامة والجزائر خاصة اوضاعا سياسية صعبة نتيجة الصراعات الداخلية بين الدويلات التي تسعى كل منها الى التوسع وفرض سيطرتها على الاخرى وكذلك الصراع في البيت الواحد حول كرسي العرش ما جعل المغرب العربي منهار القوى لا يستطيع مجابهة الاخطار الخارجية فاستغلت القوى الاستعمارية الاسبانية والبرتغالية الوضع المتأزم في بلاد المغرب العربي واحتلت سواحل شمال افريقيا سبتة المغربية 1415م، المرسى الكبير 1500م، وهران 1509م، بجاية 1510م واذاقتهم مر العذاب في هذا الوقت ضهر الاخوة بر بروس في البحر المتوسط حيث كانوا يشكلون قاعدة عسكرية في جزيرة جربة التونسية وانتشر خبر بطولاتهم مع المسلمين الاندلسيين الفارين من الاسبان فدعا الاهالي الجزائرية الاخوة بر بروس لتخليصهم من الهجمات الاسبانية فقبل الاخوة ذلك وحرروا السواحل الجزائرية من الهجمات الاسبانية وهكذا ارتبط اسم الجزائر بالدولة العثمانية فأصبحت ولاية عثمانية سنة 1519م وحول هذا الارتباط اختلف المؤرخين الجزائريين فظهر جدل واسع بينهم حول طبيعة التواجد العثماني في الجزائر فمنهم من يرى ان الجزائر كانت مستعمرة عثمانية واغلبهم باحثون متشبعين بالثقافة الغربية ومنهم من يرى ان الجزائر استكملت قوتها ووحدتها ومقاومتها في ضل الوجود العثماني ويبقى الجدل والاختلاف في المواقف حول طبيعة هذا التواجد قائما ولم يفصل فيهم الا الان.

الكلمات المفتاحية: الجهاد البحري - بربروس - الجزائر - الدولة العثمانية

Abstract :

The countries of the Maghreb at the beginning of the 16th century in general, and Algeria in particular, experienced difficult political conditions as a result of internal conflicts between the states, each of which seeks to expand and impose its control over the other, as well as the struggle in the same house over the throne, which made the Maghreb a collapse of forces that could not confront external dangers, so the forces exploited Spanish and Portuguese colonialism, the crisis situation in the countries of the Maghreb, and occupied the coasts of North Africa, Morocco, Ceuta 1415, Marsa Al-Kabir 1500 AD, Oran 1509 AD, Bejaia 1510 AD, and they tasted bitter torment. With the Andalusian Muslims fleeing from the Spaniards, the Algerian people called the brothers Bar Bruce to rid them of the Spanish attacks. The brothers accepted that and liberated the Algerian coasts from the Spanish attacks. Thus, the name of Algeria was associated with the Ottoman Empire, and it became an Ottoman state in 1519 AD. In Algeria, some of them believe that Algeria was an Ottoman colony, and most of them are Researchers imbued with Western culture, and some of them believe that Algeria has completed its strength, unity and resistance in the shadow of the Ottoman presence, and the controversy and differences in attitudes about the nature of this presence persists and has not been settled until now.

Keywords: Maritime Jihad - Barbaros - Algeria - Ottoman Empire.